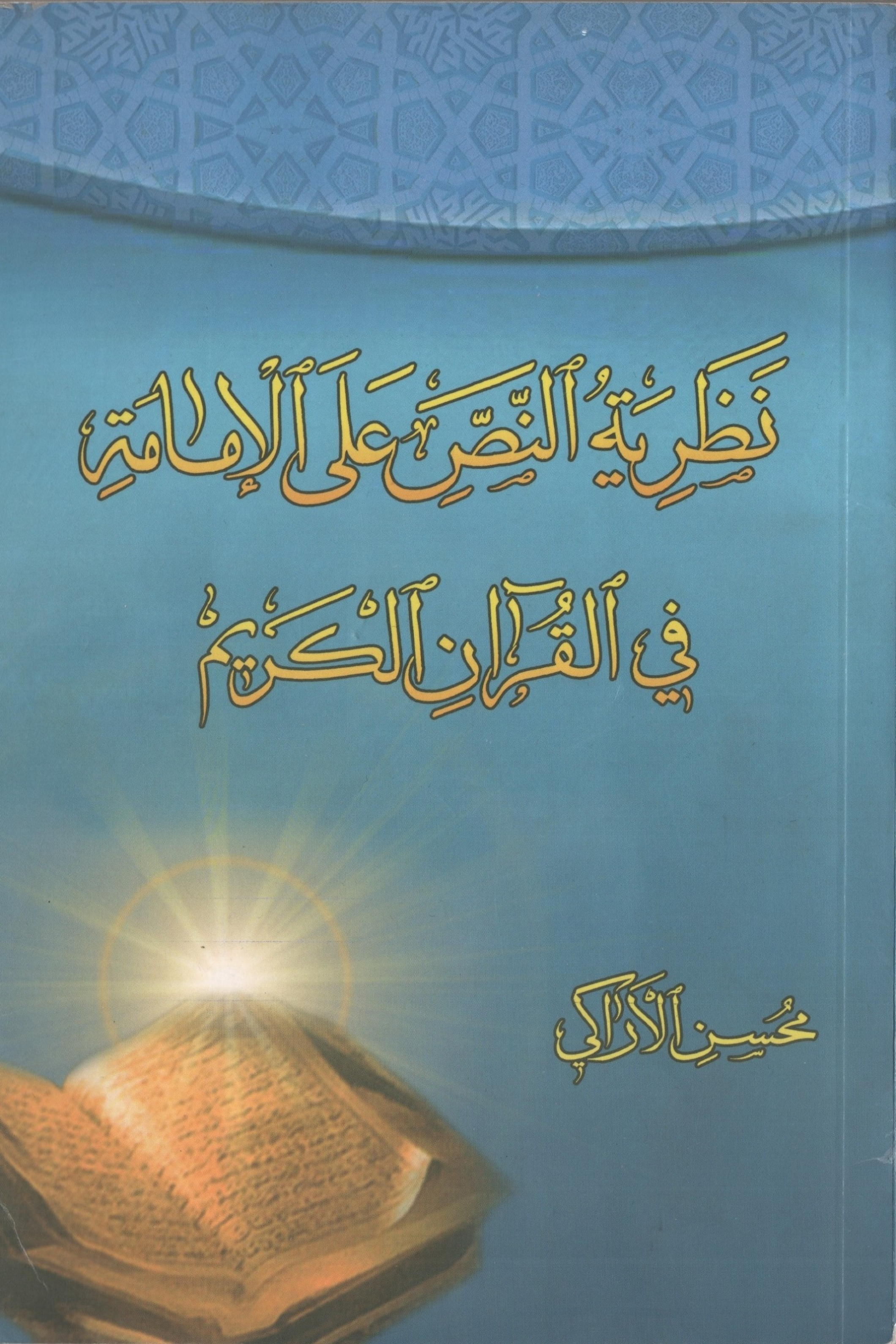
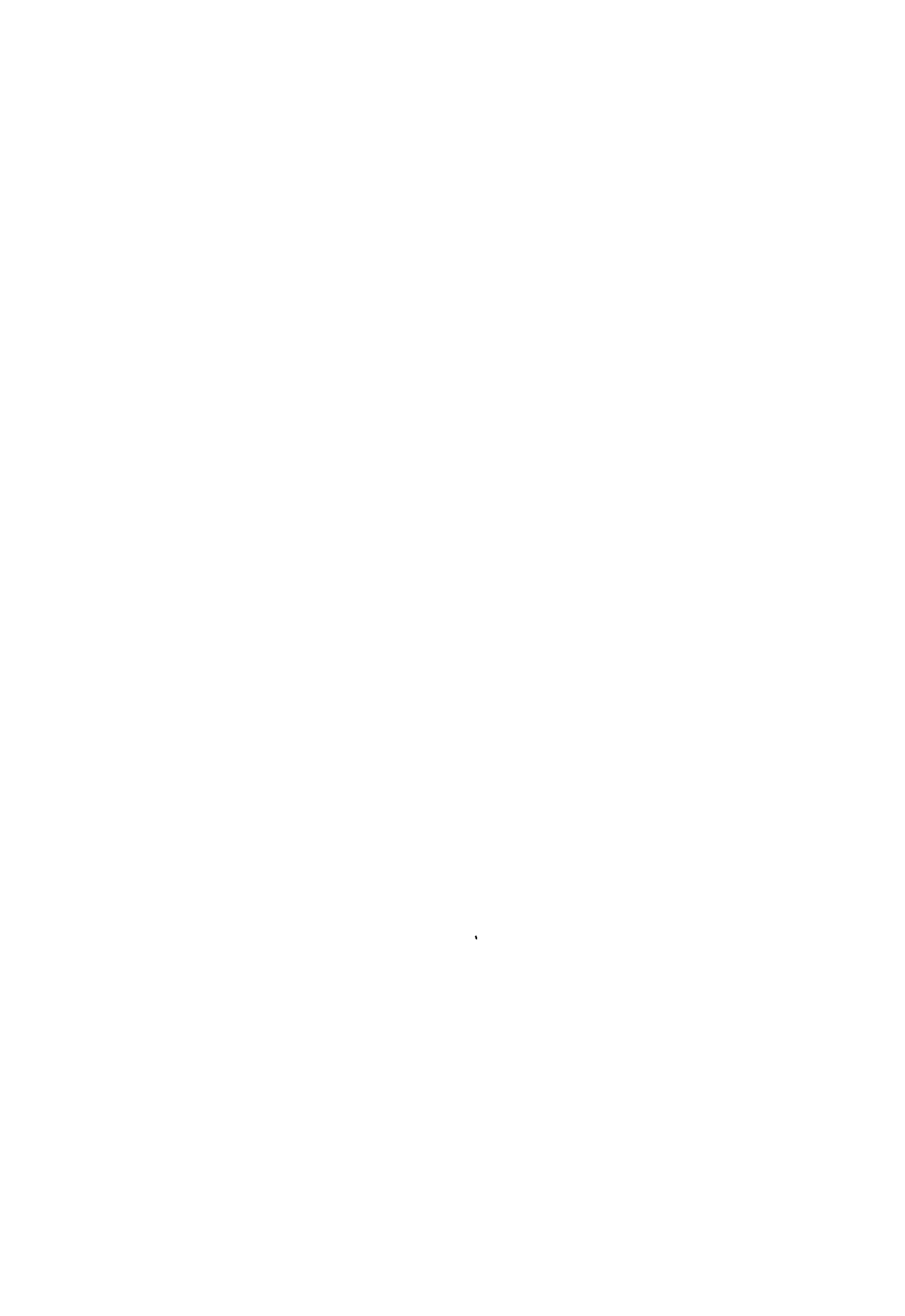
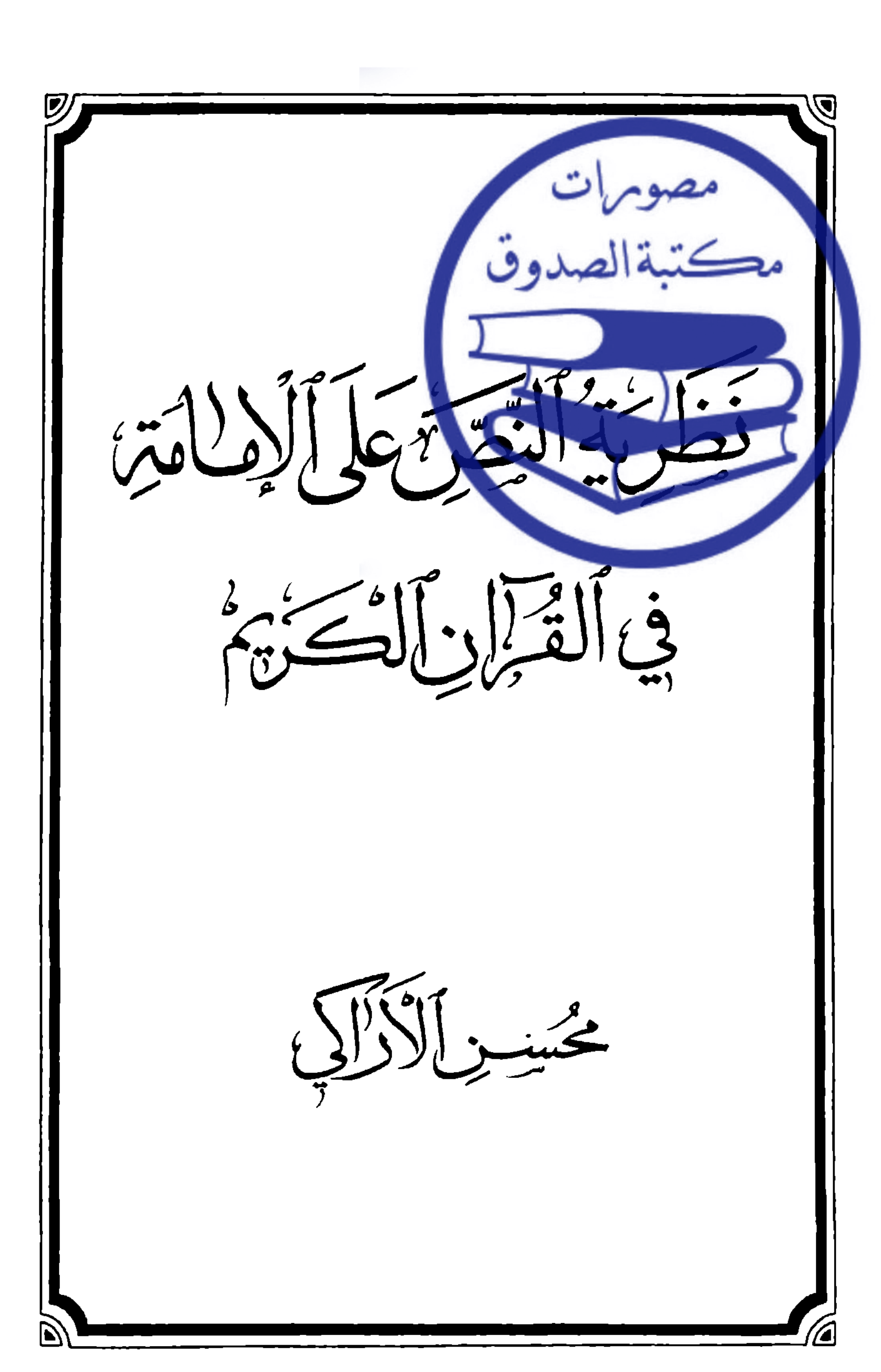


نظرية النص على الإمامة
في القرآن الكريم
محسن الأراكي







نظرية النص على الإمامة في القرآن الكريم

محسن الأراكي

سرشناسه	: اراکی، محسن
عنوان و پدیدآور	: نظرية النص على الامامة فى القرآن الكريم / محسن الاراكي.
مشخصات نشر	: قم: المجمع العالمي لأهل البيت(ع)، ١۴٢٨ ق = ١٣٨۶ .
مشخصات ظاهری	: ١۴٨ ص
شابک	: 978-964-529-248-3
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: چاپ قبلی: بوک اکسترا، ١۴٢١ ق. = ٢٠٠٠م. = ١٣٧٩.
یادداشت	: کتابنامه: ص. ١۴١ ـ ١۴۴ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع	: امامت -- شبهه‌های قرآنی.
موضوع	: امامت -- احادیث.
شناسه افزوده	: مجمع جهانی اهل بیت(ع).
رده بندی کنگره	: ۴الف ٧٢الف / BP١٠۴
رده بندی دیویی	: ٢٩٧/١۵٩
شماره‌کتابشناسی ملی	: ١٠۵٨٧٩۴

اسم الكتاب: نظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم

الموضوع: كلام وعقائد

المؤلف: الشيخ محسن الآراكي

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الثانية، منقحة

المطبعة: اعتماد

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٨ هـ

شابك: ISBN 978-964-529-248-3

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

« الصحاح والمسانيد »

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمّة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم إلىٰ العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلّاب

الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، أو من الذين أنعم الله عليهم بشرف الالتحاق بهذه المدرسة العظيمة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

وهذا الكتاب الذي نقدّمه للقارىء الكريم هو حصيلة أربع محاضرات ألقاها سماحة المؤلّف ثم دوّنها تحت عنوان: **«نظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم»**.

ونحن إذ نتقدم بالشكر الجزيل لسماحة آية الله الشيخ محسن الأراكي على إنجازه هذا الأثر القيّم، ولكلّ الذين ساهموا في تدقيقه وإخراجه، نرجو أن نكون قد قمنا ببعض ما علينا من الواجب تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

مقدّمة النّاشر



الإمامة في الإسلام

يتحدث الإمام الشهيد السيد محمّد باقر الصدر﵀ عن الأهمية الكبرى للامامة ودورها في الأُمّة، فيقول: «تعبّر الإمامة عن مرجعيتين: إحداهما المرجعية الفكرية والأُخرى المرجعية في العمل القيادي والاجتماعي، وكلتا المرجعيتين كانتا تتمثلان في شخص النبي ﷺ، وكان لابدّ ـ على ضوء ما درسنا من ظروف ـ أن يصمّم الرسول الأعظم ﷺ الامتداد الصالح له لتحمل كلتا المرجعيتين، لكي تقوم المرجعية الفكرية بملأ الفراغات التي قد تواجهها ذهنية المسلمين وتقديم المفهوم المناسب ووجهة النظر الإسلامية فيما يستجد من قضايا الفكر والحياة وتفسير كلّ ما يشكل ويغمض من معطيات الكتاب الكريم، الذي يشكل المصدر الأوّل للمرجعية الفكرية في الإسلام، ولكي تقوم المرجعية القيادية الاجتماعية بمواصلة المسيرة وقيادة التجربة الإسلامية في خطّها الاجتماعي»[1].

ويرى الإمام الصدر﵀: «إنّ الإسلام ليس نظرية بشرية

---

(١) السيّد محمّد باقر الصدر، بحث حول الولاية ص ٥١.

لكي يتحدد فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة وإنّما هو رسالة الله التي حدّدت فيها الأحكام والمفاهيم، وزودت ربانياً بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة فلا بدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب للرسالة بحدودها وتفاصيلها، ووعي لأحكامها ومفاهيمها وإلّا اضطرت إلىٰ استلهام مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القبلية وأدى ذلك إلى نكسة في مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أنّ الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء، التي يجب أن تمتد مع الزمن وتتعدى كلّ الحدود الإقليمية والقومية ،الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته التي تشكل الأساس لكل ذلك الإمتداد تجارب الخطأ والصواب، التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من الزمن تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار»[١].

الإسلام والإمامة

يتلازم مفهوما الإسلام والإمامة قرآنياً ومنطقياً تلازم النظرية والتطبيق فيقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا

---

(١) السيّد محمّد باقر الصدر، بحث حول الولاية ص ٣٦.

﴿تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[١].

وإذ شرّع الخالق البارئ الإسلام الحنيف ديناً سرمدياً للبشرية جمعاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ﴾[٢] وجب منه وحده وهو الصانع الحكيم اختيار أئمّة الهدى والنصّ عليهم لأنّهم مصاديق تطبيق شرعته في الأرض يقول عزّ اسمه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[٣].

ونظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم التي أرسى دعائهما العلّامة الشيخ محسن الأراكي تُعدُّ بحقّ تأصيلاً قرآنياً رائعاً لمفهوم الإمامة الإلٰهية وإثراء للعقل الإسلامي الذي انشطر بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى شطرين:

شطر قال بأنّ الإمامة منصبٌ إلهي منصوص على من يليها وشطر استدل على صحة الإمامة إما بإجماع الأُمّة أو وصية السلف للخلف، أو الشورى، أو بالتسلُّط والغلبة[٤].

ويحقّ للمدرسة الفكرية القائلة بالنصّ الإلهي على الإمامة إعتبار إبتكار العلامة الأراكي في تأصيله القرآني الفريد لنظرية

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) الدهلوي ص ٣٢٥، ومنهاج السنة ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٦.

النصّ على الإمامة، اعتبارها ترجيحاً قوياً وكبيراً لها إلّا أنّ هذه الإبتكارات تعتبر في ذات الوقت انتصاراً للعقل المسلم الواعي برمته وهو يستدعي مآسي الأُمّة الإسلامية منذ وفاة الرسولﷺ وما أُريقت من دماء على قضية الإمامة التي يقول عنها الشهرستاني في الملل والنحل «ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية كما سُلَّ في الإمامة». ويستحضر في الوقت نفسه محنة المسلمين المعاصرة بحثاً في أسبابها وأهمها إذ يقف بالتأكيد على السبب الأساس في ذلك كلّه وهو الخلل في فهم الإمامة الإلهية ومصاديقها الحقّة وإبعادها عن مواقعها التي جعلها الله فيها والتي كان من نتائجها المرة هو ما آلت إليه أُمور المسلمين من تشرذم وتشتت وضياع واستضعاف وتسلّط الكافرين عليهم ونهب ثرواتهم بعد أن كانوا خير أُمّة أُخرجت للناس.

والمصنِّف العلّامة آية الله الشيخ محسن الأراكي يعرض أُطروحته في نصّيّة الإمامة الإلهية قرآنياً، عرضاً يكشف عن خبرته العمقية بموارد الكلام ومصادره وبصيرته القرآنية الثاقبة مرمىً ومغزى وتفسيراً تراه قوي الحجّة شديد العارضة ولعلّ أحد أهم أسباب توفّره على هذه الخصائص المتميزة هي أنّه تخرَّج من أعرق جامعتين دينيّتين وهما جامعة النجف العلمية وجامعة قم

الكبرى وتعمّق بدراسته الفقهية والأُصولية والفلسفيّة على يدي عملاقي الصحوة الاسلامية المعاصرة وهما رائد البناء الفكري الإمام السيد محمّد باقر الصدر وقائد الثورة ومؤسس الدولة الاسلامية الحديثة الإمام الأكبر روح الله الموسوي الخميني (رضوان الله عليهما).

ولأن القرآن العظيم وبإجماع المسلمين هو المرجع الفصل في الاحتكام إلىٰ كلّ القضايا الدينية فقد آثر المصنِّف الأراكي - وقد كان سديداً - الاستدلال بآيات القرآن الكريم واستنطاقها عن أهم مفردة توحيدية عقائدية ألا وهي الإمامة الإلهية، وإثبات نظرية النصّ القرآنية على الإمامة ونفي الاختيار فيها عن كلّ من هم دون الخالق القدير المتعال جلّ وعلا وقد وفّق إلى حد بعيد.

اختيار الأئمة عليهم السلام - حقّ لله وحده

ويبدو أن اختصاص الحقّ تعالى باختيار الائمّة الإلهيين واجتبائهم على طول التأريخ لم يرق لكثير من بني البشر بل وحتى لمن كان يوصف بـ«طاووس الملائكة» إبليس وهو من الجن. يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١).

ولم يرق لبني إسرائيل أيضاً اصطفاء الله تعالى طالوت ملكاً عليهم كما يقول عز من قائل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَيٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

وكذلك فان عرب الجاهلية لم يرق لهم اجتباء الله للرسول الأمين محمّد ﷺ، وإنزال الكتاب الكريم عليه كما يحكي لنا القرآن العظيم.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣).

ولأهمية مفهوم الإمامة الإلهية وموقعيتها الحساسة فقد اختص الحقّ تعالى لنفسه بحقّ التعيين والتنصيب ونفاه جلّ وعلا عمّن سواه بمن فيهم الرسل والأنبياء عليهم السلام، ناهيك عن سائر الناس.

---

(١) ص: ٧١ ـ ٧٦.

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) الزخرف: ٣١.

أُطروحة النصّ

ففي تمهيده للمصنَّف يقول العلّامة الأراكي عن النظرية بأنّها: «تربط بين حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً وبين ربّه ربطاً شاملاً، يستوعب كلّ حركاته الإرادية والإختيارية وتفسّر العبودية لله تفسيراً يرىٰ في عبودية الإنسان لله خضوعاً من الإنسان في كلّ ما يمكن أن يختار ويريد. كما ينسف الأراكي هنا نظرية القائلين بأنّ السماء لم تتدخّل في أمر القيادة بعد رسول الله ﷺ.

في المبحث الأوّل يبدأ العلّامة الأراكي بتعريف الإمامة بحسب المفهوم القرآني بأنّها: «قيادة الإنسان إلىٰ ذروة الكمال الممكن له»، أي الرئاسة العامّة في أُمور الدنيا والدين.

ثم يعرّج المؤلف على درج مواصفات الإمامة في القرآن مستدلّاً بالآيات القرآنية وهذه المواصفات هي:

أوّلاً: إنّ الإمامة شاملة لكلّ ما يختلف فيه الناس (أي كلّ فعل إرادي).

ثانياً: وأنها (الإمامة) شاملة لكلّ ما يحتمل العدل والظلم.

ثالثاً: الإمامة شاملة للإنسان مجتمعاً وفرداً في كلّ أفعاله

الاختيارية، ويربط المؤلف ربطاً وثيقاً ومحكماً بين الإمامة وحقيقة التوحيد فيقول: إنّ حقيقة التوحيد في العبادة إنّما هي توحيد الطاعة لله سبحانه، ولا طريق إلىٰ توحيد الطاعة لله سبحانه إلّا بإطاعة الإمام المنصوب ـ من قبل الله ـ الذي لا يأمر ولا ينهىٰ إلّا بما يرضي الله سبحانه وتعالى.

ويورد المؤلف أصنافاً من شواهد قرآنية هي آيات العبادة وآيات الأمر وآيات الحكم وآيات الملك التي تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن أنّ الطاعة لا تكون إلّا لله وأنّ الحكم والملك والأمر والولاية ليست إلّا بيده فهو تعالى الذي يختار للحكم والسلطة من بين الناس من يشاء، وأما رأي الناس فيقول الأراكي بأنّه «ضروري في إعطاء القوة وتنفيذ الحكم وليس رأي الناس هو الذي تدور عليه شرعية الحكم».

وفي المبحث الثاني يدخل المؤلف إلىٰ لبّ الموضوع وهو أنّ الإمامة لا تتم إلّا بالتعيين الإلهي وأنّها منصب إلهي يختار الله له من يشاء.

ويورد مجموعة من الآيات القرآنية صنّفها إلىٰ:

١ ـ **آيات الأمر**، وهي الآيات التي تدل على أنّ الأمر خاصّ بالله.

٢ ـ **آيات الحكم**، وهي الآيات التي تدل على أنّ الحكم لله

وليس لغيره.

٣ـ**آيات الملك**، وهي الآيات التي تحصر الملك في الله وحده.

٤ـ**آيات الولاية**، وهي الآيات التي تدلّ على أن الولاية بيد الله.

٥ـ**آيات الطاعة**، وهي على قسمين: الآيات التي تأمر بطاعة الرسول طاعة مطلقة، والآيات التي تدلّ على وجوب الردّ إلىٰ أُولي الأمر.

٦ـ**آية الاختيار**، التي تدل على أن الاختيار بيده تعالى.

٧ـ**آية التحكيم**.

٨ـ**آيات الإيتاء**.

ويحلّق الأراكي رائعاً في تفسير آية الشورىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وما يبدو للوهلة الأُولى من أنها تعارض آية الاختيار، فينصّ «أمرت آية الشورى الرسول الأعظمﷺ بالمشورة إلّا أنها تركت له حقّ القرار والعزم، وبذلك لا يمكن أن تكون الشورى مصدر قرار بل عبارة عن تبادل الآراء واختيارها تمهيداً لاتّخاذ القرار».

وفي البحث الثالث، يفصّل المؤلف موضوعة النصّ على الأئمّة في القرآن الكريم ضمن صيغ ثلاث من التعيين:

الصيغة الأُولى: وهي آيات النصّ التي دلّت على الأئمّة على

مدى التاريخ.

الصيغة الثانية: آيات النصّ التي دلّت على الأئمة من آل إبراهيم واستمرار الإمامة الإلهية في ذرية إبراهيم ونسله على مدى التاريخ.

الصيغة الثالث: آيات النصّ على تعيين الأئمة بعد رسول الله ﷺ في أهل بيته وهم عليّ وفاطمة وأولادهما الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ويستشهد المؤلف بأربعة شواهد قرآنية متتالية للتدليل على النصّ العامّ على الأئمة على مدى التاريخ، وأنّه جلّ وعلا نصب للبشرية أئمة في كلّ زمان كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] ، أي أننا بعثنا في كلّ أمّة قادة إلٰهيين سياسيّين يحكمون بما أمر الله ويدعون الناس إلىٰ عبادة الله والخضوع لحكمه، ورفض حكومة الطواغيت وعدم الخضوع لهم وأنّ الإمامة الإلهية لا تختصّ بفترة زمنية محدّدة بل هي مستمرة على طول تاريخ البشرية.

وينتقل الباحث الأراكي إلىٰ الصيغة الثانية وهي آيات النصّ على الأئمة من آل إبراهيم فيورد خمسة شواهد قرآنية متتالية

---

(١) النحل: ٣٦.

ضمن مسلسل شيّق وفريد، يبدأها ببشارة الله تعالى لإبراهيم بجعله وذرّيته أئمة صالحين استجابة لدعائه يوم كان شاباً في أوج صراعه مع المشركين والكافرين.

يقول تعالى عن لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلحِقْنى بالصَّالِحِينَ﴾(١) .

ويقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(٢) .

وإذ طلب إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريّته فقد استجاب الحقّ تعالى لدعائه ضمن شرط، لا يمكن للإرادة الإلهية تجاوزه وهو شرط العدالة التامّة حينما سُئل ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾، فشرط العدالة التامّة، هو حدّ العصمة.

ثم يشقق المصنّف بدقة الاصطفاء الإلهي إلىٰ نوعين:

الأوّل: الاصطفاء الفردي، وهو اصطفاء آدم ونوح.

الثاني: الاصطفاء الأُسري (العائلي) وهو اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ

---

(١) الشعراء: ٨٣.

(٢) العنكبوت: ٢٧.

عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) .

وهنا يستدرك المصنّف نقطة هامة في هذا الاصطفاء فيشترط فيه المؤهلات والكفاءات الربّانية القيادية وأنه ليس قائماً على النسب ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) .

ويضيف: «إنّ هذه الآيات وغيرها تدلّ على استمرارية الاصطفاء الإلهي في آل إبراهيم وأن العصور المختلفة شهدت اصطفاءات خاصّة ضمن آل إبراهيم كان آخرها اصطفاء آل محمّد عليهم السلام». وقد سلبت الإمامة عن بعض ذرية إبراهيم وانتقلت إلىٰ غيرهم حينما فقدت المجموعة الأُولى صلاحياتها وكفاءاتها، في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَاتِ﴾(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾(٤) فقد انتزع الله الإمامة من ذريّة إسحاق من آل إبراهيم وانتقلت إلىٰ الطاهرين من بقية آل إبراهيم من إسماعيل وهم آل محمّد عليهم السلام .

امّا الصيغة الثالثة من الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من

---

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) آل عمران: ٣٤.

(٣) مريم: ٥٩.

(٤) النساء: ١٥٥.

أهل البيت عليهم السلام فقد استهلّها المؤلّف بالحكمة الإلهية التي اختارت أُسلوب الاشارة والوصف في النصّ على إمامة أهل البيت عليهم السلام إبقاءً عليهم وعلى القرآن نفسه.

ثم يورد المؤلّف ستة شواهد قرآنية بليغة نصّت على إمامة أهل البيت عليهم السلام .

أوّلها، آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] .

الثانية: آية التطهير.

الثالثة: آية القربىٰ.

الرابعة: آية التبليغ.

الخامسة: آيات الشهادة.

حيث يستعرض المؤلّف فيها أربعة مفاهيم قرآنية هامّة جداً وهي:

١ ـ لله تعالى في كلّ أُمّة شهيد.

٢ ـ مواصفات الشهداء.

٣ ـ شهادة الرسول على المسلمين في عصر النبوّة.

٤ ـ الشاهد التالي لرسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) المائدة: ٥٥.

خاتمة

أخيراً فالكتاب سفر فكريّ ثقيل يسدّ فراغاً في المكتبة الفكرية الإسلامية ويعدّ دون مغالاة أوّل مصنّف مستقل في فنّه وبالتأكيد سيكون مرجعاً للباحثين والمفكّرين والمعنيين بالسِجال الفكري الواعي بين مدرسة التعيين الإلهي للإمامة ومدرسة انتخابها من قبل الأُمّة، كما سيترك دون شكّ أثره الإيجابي على الساحة الفكرية الإسلامية، وبالتالي على المسرح الإسلامي كلّه. والله تعالى من وراء القصد.

مؤسسة بوك اكسترا العالمية

للنشر والتوزيع

نظرية النص على الإمامة

في القرآن الكريم



تمهيد

ليس بحث الإمامة في الإسلام بحثاً عقائدياً فحسب، بل هو في الواقع بحث حول تحديد مفهوم الإسلام أوّلاً وهو بحث حول واقع الإسلام ومصداقه التطبيقي ثانياً ، هذا عدا ما يترتب على مبحث الإمامة من النتائج الكلامية والفلسفية، والفقهية وغير ذلك على مستوى البحث النظري الأكاديمي.

فالنظرية التي تقول بالنصّ، تربط بين حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً وبين ربّه ربطاً شاملاً يستوعب كلّ حركاته الإرادية والاختيارية ويفسّر العبودية لله تفسيراً يرى في عبودية الإنسان لله خضوعاً من الإنسان في كلّ ما يمكن أن يختار أو يريد، لإرادة الله سبحانه في كلّ ما يختار ويشاء.

ووفقاً لهذا التصور، فالإله ليس رباً يعبد بالطقوس والمراسيم المعتادة فحسب، وليس رباً محصوراً بين جدران المساجد والمعابد، وليس رباً كما يقدّس الشيوخ والجدود ويحصر في

الزمـن الماضي البعيد ويحجر عليه أن يتصرف في الكون والإنسـان الحاضر، وليس رباً أُسطورياً يعرف في القصص الأساطيرية التي تحكي الزمن الغابر.

كما أنّ إله هذا التصور ليس إله الموتى والعاجزين فحسب ولا إله المنكوبين والقاصرين فحسب، وليس ذلك الإلـه الذي لا شأن له بالإنسان وحياته الدنيا، وليس ذلك الإله الذي يقف مطلاً في أعالي السماوات يستعرض أحداث الأرض من غير أن يتدخّل فيها ولا ذلك الإلـه الذي حظر عليه أن يخاطب الإنسان إلّا بالموعظة الهادئة والحديث الرقيق خوفاً من أن يجرح عواطف الشرفاء من المستكبرين، والطغاة اللاعبين بمقدرات إنسان الأرض كما يشتهون.

وأما النظرية التي تزعم أن الله تخلّى عن إدارة الأرض وأهمل شأنها بعد عصر الوحي وبذلك تحجب السماء أن تتدخل في أمر القيادة بعد رسول الله ﷺ، وتضع حداً للتدخل الإلهي في قيادة الإنسان بعد عصر الرسالة فإنّها تواجه تناقضاً مراً، لا تجد منه مفرّاً منطقياً بين التصوّر القرآني الواضح عن الله سبحانه وعبوديته الكاملة التامّة التي يهدف القرآن أن يربي الإنسان عليها ويقيم مجتمع العدل في الأرض على أساسها وبين إهمال أمر القيادة

وتسييبها بعد الرسول الأعظمﷺ وفتح بابها على الحابل والنابل، ممّن لا تلازم بين سلوكهم وشريعة الله سبحانه وتعالى، ولا بين طاعتهم وطاعته سبحانه وتعالى.

ولو أنّ أحداً فتح عينيه على الأحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول الأعظمﷺ وما أدّت إليه بعد ثلاثة عقود فحسب من سيطرة الطغاة على رقاب المسلمين، واستهتارهم بكرامة الناس، وما ارتكبوه من إبادة الصالحين واستئصالهم للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وتلاعبهم بمقدرات المجتمع الإسلامي وثرواته وخيراته، حتى انتهى الأمر بالأُمّة التي أعزّها الله بطاعته وأكرمها بنبيّه إلىٰ ما نجده في زماننا الحاضر من الذل الشامل والفرقة والتخلف وغير ذلك ممّا حذّرنا الله سبحانه تعالى منه إن أعرضنا عن دينه وعصينا رسوله .

أقول: لو فتح البصير عينيه على ما حدث للمسلمين بعد الرسول حتى انتهى بهم إلىٰ هذه النتيجة المرّة المستنكرة لكفاه دليلاً على فساد نظرية الإهمال والتّسييب في الإمامة والقيادة ولغدا على يقين من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ* وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

ولقد أدى حرص القادة الإلهيين بعد الرسول على أصل الرسالة ومستقبلها إلىٰ أن يسلكوا مع أصحاب السلطة اللا شرعية سلوكاً لا يؤدّي إلىٰ القضاء على أصل الرسالة والتشكيك في صدق المصدّع بها، ولقد كان موقف القادة الإلهيين بعد عصر الرسالة موقفاً صعباً، جعلهم بين أمرين أحلاهما مرّ، فإما أن يصرّوا على الإعلان على النصّ الإلهي الذي بيّن حقيقة الأمر في الإمامة بعد رسول الله، وأن يؤكّدوا على النصوص التي سمعها المسلمون من رسول الله ثم شهدوا مخالفة المقرّبين من رسول الله وانكارهم الصريح لها، فوهنوا عن الانتصار لها ولأهلها، أو أن يهملوا بيان ركن عظيم من أركان الدين وهو ركن القيادة والإمامة وفي هذا الإهمال تضييع للدين وتعريض لمستقبل المجتمع الإسلامي لكثير من الأخطار والعواقب الفاسدة التي لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه وتعالى، ولكن إصرارهم على هذا الإعلان، وتحدّيهم السافر للمستبدّين بالسلطة الذين لم يتورّعوا عن الإجهار بمخالفة الرسول وهو حيّ حاضر والتشكيك في سلامة رأيه حين طلب منهم «أن يأتوا له بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده

---

(١) القصص: ٦٨ ـ ٧٠.

أبداً» فواجهه بعضهم بالقول: «هجر رسول الله»[١] ، أو «غلبه الوجع ولا حاجة لنا إلىٰ كتاب، حسبنا كتاب الله»[٢]، كان يؤدي لا محالة إلىٰ إصرار المستبدّين بالسلطة على التشكيك ليس بالنصّ الذي يروى عن رسول الله فحسب، بل التشكيك في كلام رسول الله نفسه واتهامه بما ينافي عصمته وصدق إخباره عن الله سبحانه في كلّ ما يفعل ويقول، ولو صدر مثل هذا عن بعض من كان يُعدّ من المقرّبين عند رسول الله، لفتح باب التشكيك على رسول الله وعلى رسالته على مصراعيه، وكان في ذلك زوال الرسالة الإسلامية وانهدام أركان الدين من الأساس.

لكنّ إهمالهم لبيان هذا الركن الخطير من أركان الدين هو الآخر تعريض لمستقبل الإسلام والمجتمع الإسلامي لنتائج مرّة لا تقل خطراً عن أصل زوال الدين، فكان لابدّ أن يسلك القادة الإلهيّون مسلكاً وسطاً بين المسلكين يجنّبهم ـ من ناحية ـ خطر الصِدام بالسلطة ويضمن لهم من جانب آخر نشر الحقيقة التي نزل بها الوحي على رسوله الأمين بشأن الإمامة والقيادة فبدأوا ـ هم

(١) البخاري باب جوائز الوفد من كاب الجهاد: ٢/ ١٢٠، وكتاب الوصية من صحيح مسلم باب ترك الوصية.

(٢) البخاري كتاب العلم، باب كتاب العلم: ١/ ٢٢ ـ ٢٣.

والثابتون على الإيمان من صحابة رسول الله والمقرّبين لديه ـ يبثّون النصوص عن رسول الله بشأن الإمامة بعد رسول الله بثاً رقيقاً يتجنّبون به إثارة السلطة، وكان بعضها تطبيقاً لما ورد في هذا الشأن في كتاب الله، وبعضها الآخر نصوصاً بيّن فيها الرسول حقائق الوحي في قضية الإمامة ووضع فيها النقاط على الحروف.

وكان هذا هو الأُسلوب الذي اتّخذه القرآن الحكيم من قبل في الإعلان عن قضيّة الإمامة بعد رسول الله، فقد استخدم ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فيما يخص شأن الإمامة بعد الرسول أُسلوباً خاصّاً يجمع بين البيان والوضوح لمن يطلب الحقيقة من جهة وبين تجنّب الصِدام المباشر، والمواجهة العارية من جهة أُخرى مع النفوس التي طالما طمحت إلىٰ السلطة بعد رسول الله وبقيت ترتقب ساعة الصفر لتنال ما تاقت إليه وحُرِمت منه من الرئاسة، وكان يثقل عليها أن تخضع لقيادة الأكفاء من الأئمة الصالحين من أهل البيت، الذين اصطفاهم الله للإمامة وطهّرهم عن الرجس تطهيراً.

ولو أنّ أحداً أمعن النظر في كتاب الله وأحسن التدبّر في آياته، وأزاح عن بصره حجب الهوى والعصبية لوجد في كتاب الله كمّاً هائلاً من الآيات البيّنات التي تتصدى لبيان الإمامة الإلهية في

كبرياتها وقواعدها تارة وفي صغرياتها ومصاديقها أُخرى، ولعرف بما لا يقبل الترديد أن جوهر التوحيد القرآني إنّما يتلخّص في الولاية والإمامة الإلهية المستمرة على مدى العصور، وفي كلّ مراحل حياة الإنسان وأدوارها منذ فجر التاريخ وحتى نهايته التي يرث فيها الله الأرض ومَن عليها.

ولقد أُتيحت لي فرصة البحث عن بعض ما ورد بشأن الإمامة الإلهية في القرآن الكريم مع بعض الدارسين وأهل الثقافة والعلم في لندن في شهر رمضان المبارك سنة (١٤١٨ هـ)، فاكتملت أربع محاضرات أُلقيت في قاعة دار الإسلام تحت عنوان «إمامة النصّ في القرآن الكريم» ثمّ تجشّم بعض الإخوة المؤمنين من الحضور عناء إفراغ التسجيل الصوتي للبحث على الورق، وقد أعدت النظر فيه فعدّلت منه بعض ما كان يحتاج إلىٰ التعديل وأكملت بعض ما كان يحتاج إلىٰ التكميل، فخرج في صورته التي يراها القارئ الكريم بين يديه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّله منّا بقبول حسن وأن ينفع به المؤمنين وطلّاب الحقّ واليقين، إنّه سميع الدعاء قريب مجيب.

محسن الأراكي



المبحث الأوّل

- **الإمامة في القرآن الكريم**

ـ معنى الإمامة في القرآن الكريم

- **مواصفات الإمامة في القرآن الكريم**

ـ الإمامة شاملة لكل ما يختلف فيه الناس

ـ الإمامة شاملة لكلّ ما يحتمل العدل والظلم.

ـ الإمامة شاملة للإنسان فرداً ومجتمعاً في كلّ الأفعال الاختيارية

- **الإمامة وحقيقة التوحيد**

ـ توحيد الطاعة لله سبحانه

ـ شرعية الحاكم ليست مستمدّة من رأي الناس

ـ الحقّ والعدل سابقان على الإرادة الإنسانية



حديثنا حول الإمامة يتضمّن عدّة مباحث:

المبحث الأوّل
مفهوم الإمامة في القرآن الكريم

معنى الإمامة في القرآن الكريم: قيادة الإنسان إلىٰ ذروة الكمال الممكن له.

فالإمامة ـ كما يعرضها القرآن الكريم ـ ليست إمامة في الدين ـ بمعنى العبادات فقط، كما أنها ليست إمامة في الدنيا ـ أي ما سوى العبادات من أُمور الحياة ـ فحسب، وإنّما هي إمامة الإنسان في كلّ أفعاله الاختيارية، وبعبارة أُخرى: في كلّ فعل يقبل أن يكون عدلاً أو ظلماً سواء أكان اجتماعياً أم فردياً، دنيويّاً أم أُخروياً، وكلّ فعل يصحّ أن يوصف بحقّ أو باطل، أن يضلّ به الإنسان أو يهتدي.

مواصفات الإمامة في القرآن الكريم

ومن أجل تحديد مفهوم الإمامة في القرآن الكريم، ينبغي أن نشير إلى أنّ الإمامة في القرآن الكريم لها ثلاث مواصفات:

الأُولى: إنّ الإمامة شامله لكلّ ما يختلف فيه الناس أي تشمل كلّ فعل إرادي، لأنّ الاختلاف إنما هو فرع الإرادة والفعل غير الإرادي لا يختلف فيه، فالموجودات غير الإرادية تتساوى وتتحد في أفعالها وآثارها.

والإنسان إذ يختلف مع الآخر، ذلك لأنّ هذا يريد شيئاً وذاك يريد شيئاً آخر فيختلفان. هذا هو معنى الاختلاف فهو فرع الإرادة. أمّا إذا كان الفعل غير إرادي فلا يحصل فيه الاختلاف. بل يصبح عملاً رتيباً.

الثانية: إنّ الإمامة شاملة لكل ما يحتمل العدل أو الظلم.

الثالثة: لا فرق في الإمامة الإلهية بين الفرد والمجتمع وبين الأفعال الدنيويه والأُخروية والمعنوية والمادية، فهي شاملة للإنسان مجتمعاً وفرداً في كلّ أفعاله الاختيارية وسوف نجد في آيات القرآن ما يؤكد هذه المواصفات الثلاث في مفهوم الإمامة.

ثمّ إنّ هذا المفهوم الذي يحدّده القرآن الكريم للإمامة يكفي

بنفسه دليلاً على ضرورة النصّ على الإمام وأن يكون منصوباً من قِبل الله سبحانه تعالى، لأنّ الإنسان في أفعاله الاختيارية نحو الفضيلة والكمال الأسمى لا يمكن أن يعرف أهلها إلّا بالوحي والنصّ الإلهي قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[2].

ولنبدأ بمطالعة الآيات القرآنية الكريمة لنحدد من خلالها مفهوم الإمامة بمواصفاتها الثلاث، وبهذا الصدد سنتعرض إلىٰ مجموعة من آيات الكتاب:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ * وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3].

إنّ هذه الآية تؤكّد بصراحة على مفهومين:

الأوّل: إنّ الله هو الوليّ وأنه لا يجوز للإنسان أن يتّخذ غيره وليّاً.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) النساء: ٤٩.

(٣) الشورىٰ: ٩ ـ ١٠.

الثاني: إنّ كلّ ما يختلف فيه الناس فحكمه إلىٰ الله، وحينما نضمّ هذين المفهومين بعضهما إلىٰ بعض تنتهي إلىٰ أن الله وحده هو الوليّ وهو الحاكم ليس لغيره أن يتولّى أمر الناس أو يحكمهم، وأن ولايته وحكمه لا تنحصر في مجال خاص من مجالات حياة الإنسان، بل يشمل كلّ ما يختلف فيه، وما يختلف فيه هو كلّ فعل إرادي يختاره الإنسان حسب العوامل والملاكات التي توجّه إرادته، فإنّ الفعل الإرادي هو الّذي يختلف فيه الناس لاختلاف أهوائهم وحاجاتهم ومشاربهم والعوامل المؤثرة فيهم.

ثمّ إنّنا إذا ضممنا إلىٰ هاتين الآيتين آيتين أُخريين من سورة المائدة فسوف تتكامل عندنا صورة الإمامة القرآنية: قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١) .

صرّحت الآيتان بأنّ ولاية الله ورسوله والذين آمنوا ولاية مطلقة غير محدودة، بمجال دون مجال، أو موضوع دون آخر.

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

(١) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

فقد جعل الله سبحانه وتعالى الإمامة هنا شامله كلّ ما يمكن أن يكون لهم فيه إمام، بجعل مطلق. فالآية تعني إنّي جاعلك إماماً فيكلّ شيء يحتاج الناس فيه إلى إمام، ولم يقتصر على إمامة الدنيا، أو إمامة الآخرة، أو في الأُمور الاجتماعية، أو الفردية وغير ذلك.

وقال تعالى: أيضاً:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[٢].

والخطاب موجّه إلىٰ الرسولﷺ، أي لتحكم بين الناس في كلّ ما يحتاجون فيه إلىٰ حكم، وهذا جعل مطلق أيضاً، غير مقيّد بأمر معيّن أو خاص، فهو يحكم بينهم فيكلّ مسألة تطرأ لهم.

وقال تعالى أيضاً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) النساء: ١٠٥.

(٣) النساء: ٥٩.

وأطيعوا هنا مطلق أيضاً، أي في كلّ ما يأمرونكم به، ولم يحدّد أو يحصر موضوع الطاعة في أمر معيّن.

إذن فالطاعة التي أُمرنا بها هي طاعة في كلّ شيء يقبل الأمر والنهي.

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم لا يقل اهتمامه بالإمامة عن إهتمامه بالتوحيد، ولعلّ الآيات القرآنية الواردة في الإمامة لا تقل عمّا ورد في مجال التوحيد بل نجد في القرآن في كثير من الأحيان ذكر الإمامة والقيادة الإلهيّة بعد ذكر التوحيد كما في الآيات التالية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا* أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا* ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا* أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ سَبِيلًا* أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا* أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا* أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا* فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا* إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا* وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا* يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا* أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا* فَكَيْفَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا* أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا* وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا* فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا* وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا* وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيماً* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا* وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا* ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[1] .

ففي هذه الآيات بدأ القرآن الكريم بمفهوم التوحيد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ ثم انتقل إلىٰ موضوع الإمامة ممّا يؤكد أن التوحيد الإلهي لا يكتمل عملياً إلّا ضمن مسيرة الإمامة والقيادة الربانية.

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم تأكيداً على الإمامة في أهدافها ومضمونها وحدودها وواجباتها ففي سورة الحديد يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2] .

---

(١) النساء: ٤٨ ـ ٦٩.

(٢) الحديد: ٢٥.

فقيادتهم ورسالتهم وإمامتهم تهدف إلى أن يقوم الناس بالقسط، وكلّ شيء له دخل في أن يقوم الناس بالقسط، فهم أئمة فيه، لأنهم أُمِروا وأُرسلوا ليقوم الناس بالقسط، فكلّ ما يوفّر قسطاً للناس ويقرّ عدلاً، أو يرفع ظلماً عن الناس فهم أئمة فيه.

وكذلك الآيات التي تؤكد الطاعة لله والرسول وللرسل جميعاً هي آيات مطلقة أيضاً.

قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[1]. وقال تعالى عن لسان كبار الأنبياء والرسل وهم يخاطبون أُممهم: ﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2] . ولا توجد لدينا آية واحدة تدلّ في مضمونها على أنّه أطيعوني في أُمور الآخرة فقط، أو أطيعوني في أُمور ما بعد القبر، أو أطيعوني في العبادات فقط، وهكذا فلفظ أطيعوني المطلق يشتمل على أُمور الدين والدنيا.

قال الله تعالى عن لسان نبيّه صالح عليه السلام :

﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[3] .

---

(١) آل عمران: ٣٢.

(٢) الشعراء: ١٥٠.

(٣) الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢.

أي أطيعوني ولا تطيعوا المفسدين.

ففى هذه الآية يقول النبيّ صالحﷺ مخاطباً قومه بما تفسيره: إنني إنّما جئتكم لأقودكم في هذه الحياة ولأمسك زمام الأُمور ولأمنع من طاعة المستكبرين والمفسدين.

فالإمامة إذن حسب المفهوم القرآني، عبارة عن الرئاسة العامّة في أُمور الدنيا والدين، أو كما قلنا (قيادة الإنسان في أفعاله الاختياريّة إلىٰ ذروة الكمال المقصود)، هذه هي الإمامة حسب المفهوم القرآني .

الإمامة وحقيقة التوحيد

ثم إنّ هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم دلّت على أن الطاعة والولاية والأمر والسلطة بيد الله وحده، فليس له شريك في الحكم وليس له شريك في الأمر، فكما لا يجوز أن نشرك في عبادتنا له فنعبد الله ونعبد غيره، كذلك الطاعة، فلا يجوز أن نطيع الله ونطيع غيره.

فالطاعة لله وحده، ومن هنا فلابد أن يعيِّن الله في خلقه إماماً تكون طاعته طاعة له، أي لابدّ أن يكون هناك إمام من الله يأمر الله بطاعته حتى يتحقق التوحيد في الطاعة لله سبحانه وتعالى بطاعة

الإمام التي هي طاعة الله سبحانه وتعالى.

فحقيقة التوحيد في العبادة إنّما هي توحيد الطاعة لله سبحانه، ولا طريق إلىٰ توحيد الطاعة له سبحانه إلّا بإطاعة الإمام المنصوب من قِبل الله، والذي لا يأمر ولا ينهي إلّا بما يُرضي الله سبحانه وتعالى.

أما الآيات التي تدل على أنّ الطاعة لا تكون إلّا لله وأنّ الحكم والملك والأمر والولاية ليست إلّا بيده وهو الذي يختار للحكم والسلطة بين الناس من يشاء فكثيرة نشير إلىٰ بعضها:

فمنها: آيات العبادة كقوله تعالى: عن لسان أنبيائه:

﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

وقوله تعالى أيضاً:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

والمقصود بالعبادة هو الخضوع لله سبحانه والطاعة التامّة له وليس المقصود بها الطقوس والمناسك العبادية خاصّة.

ومنها: آيات الأمر كقوله تعالى:

---

(١) المؤمنون: ٢٣.

(٢) النحل: ٣٦.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(١) .

فليس لأحد أن يأمر إلّا الله، وليس لأحد أي سلطة إلّا السلطة التي يعطيها الله سبحانه وتعالى إيّاه فهو الذي له حقّ الأمر قال تعالى:

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾(٢) .

ومنها: آيات الحكم كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾(٣) .

والآية: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾(٤) .

والآية: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾(٥)

ومنها: آيات الملك كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾(٦) .

فالله هو الملك وهو الآمر والناهي وهو الحاكم ليس غيره، لكن ذلك لا يعني أن يباشر الحكم والقيادة والأمر والنهي بنفسه فانّه سبحانه ليس بشراً وليس جسماً يُرىٰ فلابدّ أن يحكم الناس

---

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) الأنعام: ٦٢.

(٤) الأنعام: ٥٧.

(٥) الكهف: ٢٦.

(٦) الناس: ١ ـ ٢.

من خلال إنسان مثلهم يرونه ويراهم يأكل ممّا يأكلون منه ويشرب ممّا يشربون، ولابدّ أن يكون هذا الإنسان متصفاً بمواصفات معيّنة تؤهله لكي يبيّن للناس حكم الله تعالى ويدعوهم إلىٰ طاعته ويقودهم إلىٰ مرضاته فتكون طاعة هذا الإنسان الإلهي ـ الذي يأتي إلىٰ الناس بالبيّنات والبراهين التي تدل على نصبه للحكم والقيادة من قبل الله سبحانه ـ طاعةً الله سبحانه والخضوع له في الحكم خضوعاً لله سبحانه وتعالى.

وما ذكرناه من أن السلطة الإلهية لا تعني الحكم الإلهي المباشر بل تعني الحكم الإلهي من خلال سفراء الله سبحانه ومن أذِنَ الله لهم بالحكم، ليس خاصّاً بالحكومات الإلهية بل الأمر كذلك في الحكومات البشرية أيضاً، فحين نقول مثلاً: إنّ فلاناً قائد الدوله وحاكمها ليس يعني ذلك أن حاكم الدولة وقائدها يباشر أُمور القيادة والحكم كلّها بنفسه، بل لابدّ أن يكون له أعوان وممثلون وأعضاء ووكلاء ومدراء وأجهزة تقوم بتنفيذ أوامره وإبلاغها وإدارة شؤون الناس على ضوئها.

فقول الناس فلان قائدنا لا يعني أن كلّ واحد منهم يتصل به بصورة مباشرة بل هو يعيّن أُناساً من قبله فيأمرون ويكون أمرهم كأمره وطاعتهم كطاعتهم للقائد الأعلى.

يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾(١) .

فأنت الذي تعطي وتمنع هذا الملك، وليس هنالك غيرك من يؤتي وينزع هذا الملك، فلا يؤتيه غيرك، وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ مَن تشاء، وتذلّ مَن تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير.

وفي سورة البقرة في قضية طالوت، قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) .

في هذه الآيات تصريح واضح بأنّ الملك الإلهي لا يمكن أن يختار له إلّا من قِبل الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ﴾(٣) .

---

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) البقرة ٢٤٧.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

فهو الذي ينصب لملكه مَن يشاء وهو الذي يعيّن لملكه مَن يشاء وهو الذي يعطي الملك لمَن يشاء.

وقال تعالىٰ أيضاً: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[1].

فالذي يقول إنّ لغير الله حقّ السلطة وحقّ التعيين والنصب وحقّ الأمر والنهي فقد جعل مع الله شريكاً في الملك، وهذا شرك في الطاعة وهو مرفوض بنصّ القرآن الكريم، نعم إن رأي الشعب واختياره ضروري لقيام السلطة الإلهية بمعنى ضرورة إلتفافهم حول القيادة الإلهية ونصرتهم لها لتتمكن القيادة الإلٰهية من إقامة العدل، فالسلطة الإلهية وسلطة الأنبياء إنّما تجد طريقها إلىٰ التطبيق من خلال إرادة الناس ونصرتهم للقيادة الإلهية، لكنّ مصدر شرعية الملك والسلطة إنّما هو الله سبحانه فالملك ليس إلّا لله وحده وهو الذي يختار له مَن يشاء.

وقد يكون الحاكم منصوباً من قِبل الله سبحانه وتعالى ولا يطيعه الناس ولا ينصرونه ولا يخضعون لقيادته لكن ذلك لا يسلب منه الشرعيّة التي أعطاها الله إياه بتنصيبه لحكم الناس فهو الحاكم الشرعي والإمام الحقّ وإن لم يتح له ممارسة الحكم عملياً

---

(١) الإسراء: ١١١.

لعدم إنصياع الناس له وعدم نصرتهم إيّاه.

إنّ رأي الناس ضروري في إعطاء القوّة وتنفيذ الحكم، وليس رأي الناس هو الذي تدور عليه شرعية الحاكم، فلا تدور الشرعية مدار الناس وإنّما الذي يدور مدار الناس والشعب إنّما هو نفوذ سلطة الحاكم وقدرته وقيام حكمه وتحقّق حكومته في الخارج، ولولا إطاعة الناس للحاكم ونصرتهم له لما استطاع أن يقيم الحكم، مهما كان هذا الحاكم صالحاً وحقّاً في حكومته.

وهذا فارق أساس بين الرؤية الإلهية وبين الرؤية المادية التي لا تعتقد بإله في هذا الكون، فنحن نقول: هنالك حقّ وعدل قبل أن يختار الناس، وعلى الناس ـ حسب ما يحكم به الوجدان العقلي والضمير الإنساني ـ أن يختاروه، أمّا الرؤية الماديّة فلاترى عدلاً أو حقاً قبل اختيار الناس، وهذه الرؤية المادية نسف للأخلاق والقيم من جذورها، فإذا أنكرنا أن يكون حقّ وعدل قبل اختيار الناس فلا وجود لقيم أخلاقية أو مُثل عليا تستحق أن يتّبعها الناس وأن يدعو إليها المصلحون، وإنّما القيم والمثل هي ما أختاره الناس مهما كانت وأيّاً كانوا فلو اجتمع الناس على قتل الصالحين والأنبياء بإغراء من المفسدين والمستكبرين، كما حصل في كثير من أدوار التاريخ، فليس ذلك بمستنكر أخلاقياً، لأنّ ذلك ممّا

أراده الناس وكلّ ما يريده الناس فهو حقّ ومشروع وبذلك تنتهي مهمّة المصلحين والأخلاقيين والتربويين، وتستنفذ الأخلاق والقيم أغراضها في المجتمع الإنساني، فليس وراء الواقع الإنساني فردياًكان أو اجتماعياً غاية يطلبها المصلحون، أو مقصد يدعو إليه الأخلاقيون والتربويّون!

ومهما يكن من أمر فإنّ من أوضح ما يحكم به الوجدان الأخلاقي والضمير الإنساني وجود قيم ومُثل سابقة على الإرادة الإنسانيه يعبّر عنها بالحقّ والعدل، وهذه المُثُل والقيم هي الملاك والمعيار الأساس للشرعيّة، وهي متمثّلة في الإرادة الإلهية،ومن أجل ذلك فالإرادة الإلهية هي التي تصلح لكي تكون مصدر الشرعية في الحكم والسلطة مطلقاً. وهذا هو الذي تؤكّده الآيات القرآنية التي أسلفناها وغيرهاكما في الآيات التالية:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾[1] .

﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[2] .

---

(١) الإسراء: ١١١.

(٢) طه: ١١٤.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[١] .

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٢] .

الملك كلّه بيد الله وهو المَلِك الذي ليس في الكون مَلِك حقّ غيره.

وليس هذا المُلك ملكاً أُخروياً فحسب بل المُلك لله مطلقاً في الدنيا والآخرة وهذا هو الذي تدل عليه الآيات التي ذكرناها وهناك الكثير من الآيات تصرّح بذلك تصريحاً لا يقبل التأويل

كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾[٤] .

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٥] .

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٦] .

---

(١) التغابن: ١.

(٢) الملك: ١.

(٣) فصّلت: ٣١.

(٤) القصص: ٧٠.

(٥) فاطر: ١٣.

(٦) البقرة: ٢٤٧.

إذن فالآيات التي أشرنا إليها وغيرها ممّا هو كثير في القـرآن الكريم تؤكّد على توحيد الطاعة لله وأنّ حقيقة التوحيد إنّـما هـي توحيد الطاعة له سبحانه وتعالى، وأنّ التوحيد في العقيدة والعبادة لا يتم إلّا بتوحيد الطاعة لله سبحانه.

* * *

المبحث الثّاني

- **الإمامة لا تتم إلّا بالتعيين الإلهي**
  - نماذج من الآيات الدالّة على نظرية التعيين الإلهي
  - آيات الأمر - آيات الحكم - آيات المُلك
  - هل يحقّ للأُمّة التدخّل في اختيار الإمام
  - آيات الولايه - آيات الطاعة - آية الاختيار
  - دور الأُمّة في القرآن الكريم
- **بين الاختيار والشورىٰ**
  - لا تعارض بين آية ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾، وآية الشورىٰ
  - معنى آية الشورىٰ في القرآن الكريم
  - آية التحكيم
  - آيات الإيتاء
  - معنى التشيّع
- **عصمة الإمام**
  - الإمام يجب أن يكون معصوماً بنصّ القرآن الكريم

المبحث الثّاني
الإمامة لا تتم إلّا بالتعيين الإلهي

فيما مضىٰ ركّزنا البحث حول تعريف الإمامة في القرآن وحدّدنا المفهوم الذي يقدّمه القرآن الكريم للإمام والإمامة، ووضّحنا بالدلائل البيّنة وبالإستناد إلىٰ النصوص القرآنية الصريحة، أنّ الإمامة في القرآن الكريم تعني قيادة الإنسان فيكلّ شؤونه الاختيارية نحو الكمال المطلوب. وذكرنا ثلاث مواصفات لمفهوم الإمامة في القرآن.

وهنا نتناول النصّ على الإمامة في القرآن، أو نظرية النصّ في القرآن الكريم، وأن الإمامة منصب إلهي يختار الله له مَن يشاء، فالإمامة بتعيين الله سبحانه وتعالى، ولم تُترك لاختيار الناس.

وسوف نجد أنّ القرآن الكريم يؤكّد وينصّ بوضوح على هذا المعنى وأنّ الإمامة شأن إلهي يختار الله لها مَن يشاء ولم يوكل الله سبحانه وتعالى أمر الإمامة إلىٰ الناس أنفسهم.

وقبل البدء نشير إلىٰ أنّ ما ذكرناه سابقاً يكفي بنفسه دليلاً

على ضرورة كون الإمامة بالنصّ الإلهي، فقد ذكرنا أنّ الإمامة تعني قيادة الإنسان في كلّ شؤونه الاختيارية في خط رضى الله سبحانه، والإمامة بهذا المفهوم لا يمكن أن يختار لها إلّا من قِبل الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن للإنسان العادي أن يختار مَن يصلح للإمامة التي من شأنها قيادة الإنسان في كلّ شؤونه الاختيارية إلىٰ ما فيه رضىٰ الله سبحانه وإلىٰ الكمال المطلوب. فالإمامة بهذا المفهوم لا يمكن أن تكون إلّا بنصّ من الله سبحانه وتعالى.

إذن فنفس مفهوم الإمامة الذي يحدّده القرآن يلازم نظرية النصّ والتعيين الإلهي، ولكن بغض النظر عن هذه النكتة جاء القرآن الكريم يحدد أن الإمامة لابد أن تكون بالنصّ من الله. وسوف يلي هذا البحث بحث آخر نوضّح فيه أن القرآن لم يكتف بالتصريح والتأكيد على أن الإمامة تكون بنصّ من الله، بل إنّ القرآن الكريم مارس عملية التعيين الإلهي بطريقة خاصة سوف نتناول الحديث عنها في موضعه.

والذي نريد البحث عنه هنا هو نظرية النصّ علىٰ الإمامة في القرآن الكريم، وسنقوم بمراجعة مجموعة من الآيات القرآنية التي تؤكد على أنّ الإمامة لا تكون إلّا بالنصّ وبتعيين من الله سبحانه وتعالى، والآيات في هذا المجال كثيرة نختار منها النماذج التالية:

١ ـ آيات الأمر

وهي الآيات التي تدل على أنّ الأمر خاصّ بالله. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[١].

ويقول سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٢].

ومن الواضح أنّ هذه العبارة تدل على الحصر فإنّ تقديم ما حقّه التأخير كتقديم الجار والمجرور على العامل كما نجده هنا، أو تقديم المفعول على الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣] يدلّ على الحصر.

إذن فقوله سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ يعني أن الخلق والأمر لله سبحانه وليس لغيره مطلقاً، فله الخلق والأمر ولا يشاركه في ذلك أحد.

ولننظر في الآية بكاملها كما وردت في القرآن الكريم إذ يقول سبحانه:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

(١) الرعد: ٣١.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) الحمد: ٥.

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[1] .

وحاصل معنى الآية أنّ كلّ شيء في هذا الكون خاضع لأمره تعالى، فالخلق له والأمر له، فهو الذي يأمر وهو الذي ينهىٰ وليس لأحد أن يأمر أو ينهىٰ غيره.

والمقصود بكون الأمر له سبحانه وتعالى أنّ السلطة والحكم بيده لا بيد غيره، فإنّ الأمر معناه السلطة والحكم ولهذا يُقال للسلطة والحكم: الإمارة ويُقال للقائد والحاكم: أمير، والآية واضحة في حصر ذلك في الله سبحانه وتعالى، وإذاكانت السلطة والإمارة بيد الله سبحانه لا بيد غيره، فهو الذي يحدّد مصير السلطة والحكم في المجتمع البشري وهو الذي يعيّن للحكم والإمارة أهلها وهو الذي يحقّ له دون غيره تعيين الحاكم والإمام والأمير.

٢ ـ آيات الحكم

وهي الآيات التي تدل على أنّ الحكم لله وليس لغيره فالحكم خاص به وهو الذي يحكم وليس لغيره ذلك.

---

(١) الأعراف: ٥٤.

وهذا ما صرّح به قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾[1] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[3] .

أي ليس هنالك بل ولا يمكن أن يكون هنالك شريك في حكمه. فالحكم ليس موزّعاً بين الله وغيره، أو بين الشعب وبين الله. بل الحكم لله وحده، فهو الذي يعيّن للحكم وينصب الحاكم ليس لغيره ذلك فإنّ ذلك من شؤونه تعالى الخاصة به ولا يشاركه فيه غيره.

٣ ـ آيات الملك

وهي التي تحصر الملك في الله وحده.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[4] .

فالآية هنا صريحة في أنّ الملك لله وحده وهو الذي يؤتيه من يشاء وينزعه عمّن يشاء، ثم تقول الآية:

---

(١) الأنعام: ٦٢.

(٢) الأنعام: ٥٧.

(٣) الكهف: ٢٦.

(٤) آل عمران: ٢٦.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[1] .

وسنرجئ الحديث عن مفهومي العزّ والذلّ اللّذين وردا آخر الآية وهو بحث مهمّ له صلة قريبة جداً بمفهومي الإمامة والولاية.

وينبغي هنا أن نشير إلىٰ أنّ منظومة المفاهيم القرآنية هي نظام معرفي شامل واسع المعاني متكامل المضامين متناسق المفاهيم كلّ مفهوم منه يكمّل المفهوم الآخر ولكلّ مفهوم فيه صلة بالمفهوم الآخر وله في منظومة المفاهيم القرآنية موضعه الخاص به، وضمن هذا السياق نجد أنّ لمفهومي العزّ والذلّ صلة بالإمامة ولهما موقعهما الخاص في النظام المفهومي للقرآن الكريم، كما أن (الخير) في قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ له موقعه الخاص في النظام المفهومي للقرآن، كما أنّ له صلته الخاصة بالإمامة، لأنّ الإمامة هي طريق الكمال الإنساني والكمال كلّه وهو الخير بيد الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يأتي الخير للإنسان إلّا من خلال نظام الإمامة، ولسنا الآن في صدد تفسير هذه الآية وتوضيح المفاهيم التي تضمنتها وإنّما يهمّنا الشاهد:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[2] .

إذ يدلّ بالصراحة على أنّ السلطة بيد الله سبحانه وهو الذي

---

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) آل عمران: ٢٦.

يؤتيها مَن يشاء وينزعها ممّن يشاء.

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[1] .

وفي هذه الآية نرىٰ إضافة الملك إلىٰ الله، وهو ما يؤكد اختصاص الملك بالله سبحانه وتعالى.

وفي هذه الآية والآيات التي في سياقها من القرائن الصريحة على نظرية النصّ في الإمامة الشيء الكثير، فقد وردت الآية في بني إسرائيل:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[2].

فعبارة (ملك) صريحة في الدلالة على السلطة ولا مجال فيها للتأويل فالمراد بها هو صاحب السلطان والقائد السياسي، وقد صرّحت الآية بما لا مجال فيه لأي ترديد أن هذه السلطة أمرها بيد الله سبحانه يضعها حيث يشاء.

ونلاحظ في سياق الآية أنّ بني إسرائيل أرادوا أن يتدخّلوا في قضية الملك واعترضوا على الاختيار الإلهي قائلين:

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) البقرة: ٢٤٧.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[١].

فجاءهم الردّ الإلهي على لسان نبيّهم، قائلاً:

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

فليس لأحدٍ غير الله أن يتدخّل في أمر السلطة والقيادة السياسيّة لأنّ السلطة والملك لله وحده فهو الذي يختار لهما من يشاء: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وينبغي أن يكون واضحاً هنا أنّ نظرية النصّ والتعيين الإلهي في الإمامة لا تعني إلغاء دور الأُمّة في السلطة، بل إن للأُمّة دورها الخاص بها.

فالقرآن ينصّ ويؤكد على أنّ للأُمّة دوراً سياسيّاً في السلطة وهو دور القوّة والقدرة، فإنّ السلطة السياسيّة إنما تكتسب قوّتها وقدرتها من اختيار الناس للقيادة واطاعتهم لها ونصرتهم إيّاها، فما لم تنتخب الأُمّة قيادتها وما لم ترضَ بالقائد السياسي، لا

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

يمكن لهذا القائد السياسي أن يقود الجماهير، ولا يمكن له أن يقيم عدلاً، أو يزيل ظلماً وينهاهض الظالمين، فلابدّ من إرادة شعبيه، تستند إليها القيادة الإلهية وتعتمد عليها، فنظرية النصّ الذي نقول بها هو ما ينصّ عليه القرآن الكريم، وهي النظرية التي ترىٰ الحكم خاصّاً بالله سبحانه فلا شرعيّة للحكم إطلاقاً بغير تنصيب من الله، لكنّ التنصيب الإلهي لا يوفّر للقيادة السياسيّة إلّا شرعيّتها وعدلانيتها وللشعب موقعه الخاصّ في نظام الحكم هذا وهو منح القوّة والقدرة للسلطة الإلهية لكي تستطيع القيام بدورها القيادي.

وباختصار نقول: معنى كون الإمامة والملك لله وحده وليس لغيره، أنّ شرعية الملك وشرعية القيادة السياسيّة لا تأتي إلّا من الله سبحانه، فلابدّ من النصّ الإلهي على القائد لكي يحقّ للقائد أن يمسك بزمام السلطة بين الناس، فالقائد لا يكتسب شرعية القيادة ولا الحقّانية إلّا بالنصّ الإلهي، لكن هذا القائد الحقّ متى يمكنه أن يقيم حكم الله في الأرض ويقود الناس؟

إنّما يتمكّن من ذلك بإرادة من الشعب، فدور الشعب أو الأُمّة هو دور التمكين والنصرة، أما الإمامة فلا تكتسب شرعيتها إلّا من الله سبحانه.

ومن آيات الملك أيضاً قوله تعالى:

﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).

و﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾(٢).

فكما لا يقبل شريكاً في حكمه كما قال، ولا يُشرك في حكمه أحداً، كذلك لا يقبل الشريك في الملك وقال تعالى:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾(٤).

فالملك الحقّ هو الله سبحانه دون سواه، وكلّ ملك لا يكون معيّناً من قِبَله لا يكون حقّاً، قال تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾(٥).

فالله سبحانه هو الملك الذي بيده السلطة والحكم وهو الذي يؤتي ذلك من يشاء.

---

(١) البقرة: ١٠٧.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) الملك: ١.

(٤) طه: ١١٤.

(٥) الناس: ١ ـ ٢.

٤ ـ آيات الولاية

هي التي تدلّ على أنّ الولاية بيد الله وهي كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[١] .

ومن الجدير أن نشير إلىٰ أنّ القرآن الكريم استعمل كلّ التعابير والمصطلحات التي يمكن أن تدل على اختصاص السلطة والحكم بالله سبحانه ممّا يشير إلىٰ الإهتمام البالغ الذي أولته العناية الإلهية لقضية الحكم أوّلاً وباختصاصه بالله سبحانه وتعالى ثانياً، وبضرورة التعيين الإلهي في ذلك ثالثاً .

وقال تعالى:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾[٢] .

فالولاية له خاصة على الناس أجمعين وهو الذي يعيّن للناس من يتولّى أُمورهم ومن هنا قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ

---

(١) الكهف: ٢٦.

(٢) الشورى: ٩.

آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١] .

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٢] .

فالمولى أو الولي الحقّ هو الله وليس يشركه في ولايته غيره، والآيات بهذا المعنى كثيرة.

٥ ـ آيات الطّاعة

وهي على قسمين:

القسم الأوّل: وهي الآيات التي تأمر بطاعة الله والرسول طاعة مطلقة من غير استثناء، كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣] ، وقوله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٤] .

---

(١) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) الأنعام: ٦٢.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٠.

وأمثال هذه الآيات التي تدل على أنّ طاعة الله وطاعة الرسول واجبة مطلقاً، وهناك آيات دلّت بنفس العبارة على وجوب طاعة أُولي الأمر أيضاً طاعة مطلقة كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١] فالآية تدلّ على أنّ وجوب الطاعة للرسول ولأُولي الأمر وجوب مطلق عام يشمل كلّ ما يأمرون به أو ينهون عنه، فهي طاعة مطلقة.

وهذا يدلّ على أن الولي لابدّ أن يكون معصوماً لا يتخلّف عن أمر الله قيد أنملة حتى تجب طاعته طاعة تامّة من غير استثناء. فلابدّ أن يكون منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى، لأنّ الله هو الذي يعرف الإنسان المعصوم، والعصمة بيد الله وليست بيد غيره، قال تعالى:

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٢] .

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٣] .

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) النساء: ٤٩.

فالعصمة بيد الله والطاعة له، فإذا كان الأمر بطاعة أُولي الأمر مطلقاً والطاعة طاعة مطلقة دلّ ذلك على وجوب تعيين ولي الأمر، والدلالة عليه من قبل الله سبحانه تعالى لأنه وحده الذي يعلم السرائر والمكنونات، وهو الذي يعلم المعصوم الطاهر من غيره.

القسم الثاني من الآيات: وهي التي تدلّ على وجوب الردّ إلى أُولي الأمر، فكلّ أمر يختلف فيه يُردّ إلىٰ أُولي الأمر كما يُردّ إلىٰ الرسول ﷺ، يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ...﴾[1].

وفي آية أُخرى:

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2].

إذن فلابدّ في كلّ أمر يتنازع فيه أن يُردّ إلىٰ الله والرسول، وكلّ فعل اختياري يقبل التنازع كما ذكرنا في بداية الحديث فإنّ

(١) النساء: ٨٣.

(٢) النساء: ٥٩.

التنازع وارد في كلّ أمر اختياري.

تدلّ هاتان الآيتان على أنّ الأمر كما يجب ردّه إلىٰ الله وإلىٰ الرسول كذلك يجب ردّه إلىٰ أُولي الأمر. إذن فمَن يكون من أُولي الأمر لا يُتنازع في أمره، ولا يكون كلامه إلّا حقّاً، لأنه هو المرجع عند التنازع، فلابد أن يكون هو المعيار الذي به يعيّن الحقّ عن غيره وهو الفيصل بين الحقّ والباطل فلابدّ أن يكون معصوماً منصوباً من قِبل الله سبحانه وتعالى:

٦ ـ آية الاختيار

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] فهو يخلق وهو يختار.

نلاحظ هنا المقارنة بين الاختيار والخلق، فكما هو إلهٌ في الخلق ولا يشركه في الخلق إلهٌ غيره، كذلك هو إله في الاختيار،

(١) القصص: ٦٨ ـ ٧٠.

يعني هو الأساس في الاختيار فلا يشركه في الاختيار غيره، أي إنّه سبحانه وتعالى هو الذي يختار للإنسان، ويعيّن له ماهو الخير وماهو الحقّ، فكلّ أمر اختياري يختاره الإنسان خيرته بيد الله، فالإنسان لابدّ أن يتّبع في كلّ أمر اختياري في حياته أمر الله ونهيه، وأن تكون الخيرة في حياة الإنسان بيد غير الله هو شرك بالله سبحانه وتعالى.

مجموع الآيات المتقدّمة تنصّ بوضوح على أنّ السلطة بيد الله وأنّ الخيرة في أمر الإنسان بيد الله ليس بيد غيره يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1] ، وإذا لم تكن الخيرة لهم في ما يفعلون بل الخيرة لله سبحانه، فلا خيرة لهم في أمر الإمامة والقيادة وهي من أهمّ الأُمور التي يحتاج النّاس فيها إلىٰ خيرة الله سبحانه وتعالى.

وهنا يرد سؤال:

تُرى كيف نفهم آية الشورىٰ؟ حيث يقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]. لعلّ ما يتبادر إلىٰ الذهن أن آية ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الشورىٰ: ٣٨.

تعارض آية الشورىٰ ولكنّنا بشيء من التأمّل نستطيع أن نفهم عدم التعارض بين الآيتين، لأن آية الخيرة تدل بوضوح على أنّ مصدر القرار في المجتمع هو الله سبحانه ولا قرار بيد غيره، وهذا يشمل أمر الإمامة فيكون أمرها بيد الله سبحانه، فهو الذي يعيّن لها من يشاء، كما فعل بالنسبة إلىٰ رسول الله، فقد اختاره الله إماماً للناس كما اختار إبراهيم والصالحين من ذرّيته، أما آية الشورىٰ فإنّها تدلعلى أنّ صاحب القرار الشرعي ينبغي أن يستشير غيره في اتّخاذ القرار، فإذا نصب الله سبحانه إماماً على الناس كرسول الله ﷺ فانّ عليه أن يشاور المؤمنين في ما يريد أن يتّخذ من قرار، ثم إن القرار النهائي بيده هو بعد المشورة فله أن يتّخذ القرار الذي يخالف رأي أصحاب المشورة، إذا رأى أن آراءهم لا توافق الحقّ والمصلحة وهذا هو معنى الشورى في اللغة، فليس معنى هذه الكلمة إلّا تبادل الرأي مع الآخرين تمهيداً لاتخاذ القرار من قبل مَن له شرعيّة القرار ولا دلالة في آية الشورى على أنّ الشورى هي صاحبة القرار، بل إنّ كلمة الشورى لا تنسجم مع هذا المعنى اطلاقاً، ولذلك نجد الآية الأُخرىٰ تأمر رسول الله بالشورىٰ فتقول:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] .

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

فتأمر الرسول بالمشورة ثم تترك له حقّ القرار والعزم، فرسول الله هو صاحب القرار الذي تجب على المؤمنين اطاعته واتّباعه ولكن برغم ذلك فهو مأمور بالمشورة معهم قبل اتخاذ القرار.

فالشورى لا يمكن أن تكون مصدر قرار بل هي عبارة عن تبادل الآراء مع الآخرين واختبارها تمهيداً لاتخاذ القرار.

ولا تتحدث آية الشورى عمّن يتّخذ القرار فقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ تعني أن عليهم أن يتشاوروا في ما يعرض لهم من الأمر قبل اتخاذ القرار، لكنّها لا تتعرّض لمن يصلح أن يكون صاحب القرار.

وآية الخيرة تقول أن الخيرة بيد الله والقرار بيد الله، فلابدّ أن يكون القرار والتعيين من ربّنا، ثم الذي يعينه الله سبحانه ـ وهو الّذي يصفه القرآن بأنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم أو (أُولي الأمر) ـ عليه أن يستشير الآخرين من المؤمنين في ما يريد أن يتّخذه من قرار.

فقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ أي لابدّ أن يستنيروا بآراء بعضهم حينما يريدون اتّخاذ القرار وهذا يشمل شؤون الإنسان في حياته الشخصيّة فعليه أن يستشير الآخرين وأن يستنير بآرائهم

ولكن القرار بيده نفسه وليس بيد الشورى، فإنّ استشرت جهة ما فليس هذا يعني أنّ القرار بيد الجهة تلك التي تستشيرها، بل القرار بيدك أنت وأنت تستشير الجهة وتستنير برأيها.

فقوله تعالىٰ مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

تدل على أنّ القرار ليس بيد من استشيروا وإنّما هم أصحاب شورىٰ، الأمر الذي بيدهم والموكول إليهم هو أن يشيروا إذا استشيروا، فالشورى تكون مع الناس لكنّ القرار بيد الله سبحانه وتعالى ومن ينصبه. فإذن لا تعارض بين آية الشورى وآية الاختيار.

٧ـ آية التحكيم

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

وهذه الآية تدل على وجوب تحكيم الرسول في كلّ ما شجر

(١) النساء: ٦٥.

بين المؤمنين وفي كلّ اختلاف بينهم فلا تختصّ بالحكم والقضاء، بل في كلّ أمر يختلف فيه، فهي مطلقة، وتدل على وجوب التحكيم إلىٰ الرسول في كلّ أمر وفي كلّ زمن وعلى كلّ المسلمين.

فليست هذه الآية خاصّة بالذين عاصروا الرسول ﷺ وشاهدوه، بل إن التحكيم إلىٰ الله والرسول شرط الإيمان في كلّ زمان وعلى كلّ طائفة من المسلمين، وليس خاصّاً بزمن الرسول ﷺ فكلّ مؤمن وفي كلّ عصر لا يؤمن حتى يُحكّم الرسول في كلّ أمر يختلف فيه.

وكيف يتمّ تحكيم الرسول في ما بعد وفاته ﷺ ؟ .

فلو كنّا نعيش مع الرسول ﷺ في عصره وكنّا نعيش في اليمن مثلاً كيف كنّا نحكّم الرسول ﷺ حيث لا تصل أيدينا إليه؟، كنّا بالطبع نحكّم من يعينه الرسول حاكماً علينا.

وقد كان أهل اليمن يحكمون الرسول ﷺ آنذاك وكان يبعث إليهم أميرالمؤمنين عليه السلام أو معاذ بن جبل مثلاً وكانوا بتحكيمهم لأميرالمؤمنين عليه السلام أو معاذ قد حكّموا الرسول ﷺ وعملوا بهذه الآية المباركة.

هذا في ظرف البُعد المكاني، وكذلك في ظرف البُعد الزماني فلابدّ من تحكيم من عيّنه الرسول ونصبه إماماً للناس ومرجعاً

يرجعون إليه بعده ﷺ، فعلينا ونحن نبتعد عن رسول الله ﷺ بزمن كثير أن نحكّم رسول الله في كلّ ما يعرض لنا من أمر، وذلك بأن نرجع إلىٰ من أمرنا الرسول ﷺ بالرجوع إليه ونصبه وليّاً علينا وإماماً بين المسلمين، ويكون رجوعنا إليه وتحكيمنا له رجوعاً إلىٰ رسول الله وتحكيماً له ﷺ.

٨ ـ آيات الإيتاء

وهي الآيات التي وردت بصيغة الإيتاء، مثل قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ﴾[١].

وأمثال هذه الآية كثيرة كقوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٣].

وكلمة «الإيتاء» في اللغة لا تستعمل إلّا عندما يكون المؤتي

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) النساء: ٥٤.

مالكاً للشيء، وكلّ آيات الإيتاء تدلّ على اختصاص الملك بالله سبحانه وأنه هو الذي يؤتيه من يشاء وليس لغيره أن ينال من هذا المُلك إلّا بإيتاء الله سبحانه ذلك إيّاه، وهذا ما يدلّ عليه نفس التعبير بالإيتاء بعد حصر الملك في الله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ .

ثمّ إنّ الآيات التي تعرّضنا للبحث عنها إنّما هي بعض ما يدلّ على تعيين الإمام بالنصّ الإلهي وهناك آيات كثيرة أُخرى لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

ثمّ إنّ كثيراً من هذه الآيات كقوله:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] .

تدلّ على أنّ الإمامة بعد رسول الله كانت قد تعيّنت في زمن الرسول نفسه، وأن المؤمنين كُلِّفوا وأُمِروا بطاعة هذا الإمام الذي عيّنه الرسولﷺ ، وكان واجباً فعليّاً حتى في زمن الرسول نفسه أن يرجع المؤمنون إلىٰ هذا الإمام عند غياب رسول اللهﷺ وأن

(١) النساء: ٨٣.

(٢) النساء: ٥٩.

رجوعهم إلىٰ الإمام المنصوب المعيّن من قِبل الله ورسوله كان رجوعاً إلىٰ الله ورسوله، وهذا هو التشيّع فليس معنى التشّيع إلّا الرجوع إلىٰ الله ورسوله ثم الأئمة الذين عيّنهم الله ورسوله مرجعاً للأُمّة بعد رسول الله، وهذا هو الذي أمر به الله ورسوله، فالتشيّع في واقعه هو الطاعة الكاملة للقيادة الربّانية المتمثلة في رسول الله وخلفائه المعصومين، وهذا هو الإسلام بعينه، فليس التشيّع شيئاً غير الإسلام المحض والاتّباع الكامل لرسول الله ﷺ، كما أنّ التشيّع لم يكن أمراً استحدث بعد رسول الله بل التشيّع عبارة عن الإسلام والإيمان الكامل، الذي كان عليه خيار صحابة رسول الله ﷺ في زمن الرسول وبعد رحيله إلىٰ الرفيق الأعلى.

وما ذكرناه من أنّ التشيّع كان حقيقة قائمة في زمن رسول الله متمثلاً في خيار صحابة الرسول ﷺ نجده واضحاً في كثير من آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] .

وهذه الآية تدل على واقع في زمن الرسول ﷺ. إذ تدل على أنه كان في زمان الرسول ﷺ مؤمن أو مؤمنون قد أمر الله بالرجوع

(١) النساء: ٨٣.

إليهم بعد رسول الله ﷺ وأنّ أُناساً من المؤمنين كانوا فعلاً يرجعون بعد رسول الله إلىٰ هؤلاء الذين أمر الله بالرجوع إليهم وقد كان هؤلاء الذين عبّر الله عنهم بـ ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ مرجعاً للمسلمين بعد رسول الله في عصر الرسول نفسه، وهذا مانجده بوضوح في الآية التي ذكرناها:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] .

إذن فأُولوا الأمر كانوا أشخاصاً معينين معلومين في عصر الرسول أمر الله عباده المؤمنين بردّ الأمر إليهم ووصفهم بأنهم يعلمون ذاك الأمر وهذا ما أكّدته آيات أُخرىٰ من الكتاب العزيز كقوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] .

والخطاب في الآية موجّه لعامّة المؤمنين، ولا تخاطب الآية المنافقين والكافرين أو المشركين، فالآيه تقول لا تُتركون أنتم

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) التوبة: ١٦.

المؤمنون، فانتم تفتنون وتُختبرون حتى يُعرف الذي هو في خطّ الله وفي خطّ الرسول وخطّ المؤمنين، وهم الذين أمر الله سائر المؤمنين باتّباعهم والسير على نهجهم، فليس المُبتلىٰ والمُبتلىٰ به شيء واحد، فالمُبتلىٰ هم عامّة المؤمنون والمُبتلىٰ به أو الباب الذي بسلوكه يُختبر المؤمنون هو شيء خاصّ وأُناس مخصوصون من بين المؤمنين، والوليجة هي المدخل والطريق الذي يُسلك، والآية تقول نمتحنكم ونفتنكم ونختبركم حتى يُعرف مَن الذي يبقى في خطّ الله وخطّ الرسولﷺ وفي خطّ المؤمنين، وهؤلاء المؤمنون المقصودون هنا هم نفس المؤمنين الذين قال تعالى عنهم في الآية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾[1] .

ويبدو أنّ هناك إصراراً من القرآن الكريم على أن لا يُذكر الاسم، بل ينصّ نصّاً يدلّ على الإمام بعد الرسول بالكناية والإشارة، وحكمة ذلك معلومة واضحة ويدلّ عليه الواقع الذي مرّت به الأُمّة الإسلامية بعد عصر الرسولﷺ، وخاصّة في زمن

---

(١) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

الحكم الأُموي والعبّاسي، فلو كان القرآن قد صرّح باسم عليّ عليه السلام وأسماء الأئمة من بعده لمُزّق القرآن تمزيقاً في حياة الرسول نفسه، كما أنّ العترة التي أوصى بها مزقت تمزيقاً بعد حياته، أليس الحسين عليه السلام من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله الذين أوصىٰ بهم القرآن الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]؟

أليس التاريخ القطعي وخاصّة في القرنين الأوّل والثاني بعد الرسول يحدّثنا عن القتل الذريع لذريّة النبيّ؟ أليس هؤلاء هم القربىٰ الذين مُزّقوا وقُطِعوا إرباً؟

ولو كان القرآن قد ذكر اسم عليّ عليه السلام صراحة لمُزّق القرآن ولم يبقَ منه أثر أبداً، فحكمة الحفظ كما قال سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَافِظُونَ﴾[2]. دعت إلىٰ أن يدلّ القرآن على الحقّ وعلى الإمام بالطريقة التي تحول دون تحريف القرآن والمسّ بكرامته، فمَن أراد الحقّ في الإمامة ورجع إلىٰ القرآن لوجد الحقّ واضحاً لا لَبس فيه بين آيات القرآن والسنّة الثابتة عن رسول الله فيتّبعه، ولم يدع الله

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الحجر: ٩.

سبحانه ذريعة بيد الانتهازيين والمعاندين والمغرضين لينالوا من كرامة القرآن، فحافظ الله على سلامة القرآن من جهة، ودلّ على الحقيقة من جهة أُخرىٰ، وهذا هو السبب في ما نجده في القرآن من استعمال أُسلوب الكناية في التدليل على الإمام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن الآيات التي تدلّ على تعيين الإمام الذي يلي أمر المسلمين بعد الرسول في زمن الرسول نفسه قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١] .

فقد أجمع المسلمون على نزول هذه الآية في الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب (صلوات الله عليه) عندما تصدّق بخاتمه على مسكين وهو راكع في الصلاة[٢] . وهي تدلّ على أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان إماماً واجب الطاعة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾** يدلّ على أنّ هذه الولاية ثابتة لهؤلاء

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) راجع كتب التفسير من العامّة والخاصّة، تجد أنّ الروايات متواترة في نزولها في عليّ عليه السلام، راجع على سبيل المثال: تفسير الطبري: ١٨٦/٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٢٣ ـ ١٣٤، وشواهد التنزيل: ١٦١/١ ـ ١٦٤، والسيوطي في تفسيره: ٢٩٣/٢، ولباب العقول في أسباب النزول: ٩٠.

في عصر نزول الآية، وبهذا تكون الآية دالّة على تعيين أميرالمؤمنين للإمامة في عصر الرسول ﷺ، كما أنها تفسّر سائر الآيات التي أشرنا إليها سابقاً والتي تدلّ على وجود مرجع للمسلمين بعد رسول الله، أمر الله المؤمنين بالرجوع إليه، وجعل اتّباعه واجباً على عامّة المسلمين وجعل ذلك ميزاناً يختبر به إيمان المؤمنين.

ومن الآيات الدالّة على وجوب الرجوع إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام في زمن الرسول ﷺ قوله تعالى:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

تدلّ هذه الآية على وجوب طاعة أُولي الأمر إلىٰ جانب طاعة الله والرسول ثم أنّ التعبير بـ﴿مِنكُمْ﴾ تصريح بأنّ أُولي الأمر متمثّل في شخصيّة حيّة قائمة بالفعل تجب طاعته.

وهذه الآية تنفي نظرية الاختيار بصراحة لأنها تدل على وجوب طاعة وليّ الأمر في زمن الرسول ﷺ. ممّا يعني أن وجود وليّ الأمر وتعيينه كان قد فرغ منه آنذاك، ولم يترك شاغراً ليصل الدور إلىٰ اختيار الناس. ثمّ إنّ التأكيد القرآني على الرجوع إلىٰ أُولي الأمر عند التنازع يدلّ بنفسه على أنّ الله لم يهمل أمراً يمكن

---

(١) النساء: ٥٩.

أن يتنازع فيه المسلمون من دون أن يعيّن لهم مرجعاً فاصلاً يرجعون إليه فيه، فلا يعقل ترك أمر الإمامة ـ وهو من أهم ما يُتنازع فيه، وقد حصل التنازع فيه بين المسلمين فعلاً بأشد أنواعه ـ من دون أن يُفصل فيه، ولا يتصوّر أن يُترك باب النزاع بين المسلمين في أمر الإمامة مفتوحاً على مصراعيه.

ثم إنّ هناك آيات تدل على أنّ الإمام المنصوب من قبل الله سبحانه ليس إلّا معصوماً من الذنوب كقوله تعالى:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

والظلم هو المعصية والخروج عن طاعة الله كما قال سبحانه:

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[2].

فالآية تدلّ على أنّ الظالم الذي يعصي لا يستحقّ الإمامة فالظالم الواقعي وإن كان لا يعرف الناس ظلمه لا يكون إماماً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا ينال عهدي من يكون ظالماً في واقع الأمر حتى وإنْ كان الناس لا يعرفون ظلمه بأن استطاع أن يخفي ظلمه عن الناس كالمنافق الذي لا يعرف ظلمه وهذا ما لم

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الطلاق: ١.

يمكن معرفته إلّا بدلالة من الله سبحانه وتعالى.

ومن الآيات التي تدل على أن الإمام لابدّ أن يكون معصوماً قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١].

فكلّ من يحتاج إلىٰ هداية غيره فلا يحقّ للناس أن يتّبعوه، بل الحقيق بالاتّباع هو الذي يهدي ولا يحتاج إلىٰ أن يهتدي بغيره ولاشك أنّ غير المعصوم يحتاج لكي يهتدي بغيره فلا يكون جديراً بالاتّباع والإقتداء.

وإذا ثبت وجوب أن يكون الإمام معصوماً، يثبت وجوب أن يعينه الله سبحانه وتعالىٰ لأنّه هو الذي يعرف سرائر الناس ويعرف الظالم عن غيره، ومن هو مهتدٍ في جميع أحواله ولا يحتاج إلىٰ هداية غيره عمّن لا يهتدي إلّا أن يُهدى.

* * *

(١) يونس: ٣٥.

المبحث الثالث

- **النصّ على الأئمة في القرآن الكريم**

ـ من آيات النصّ العام على الأئمة على مدى التاريخ

ـ من آيات النصّ على الأئمة من آل إبراهيم عليه السلام

ـ استجابة الله لدعاء إبراهيم عليه السلام

- **ملاكات الاصطفاء الإلهي**

ـ الاصطفاء الإلهي، فردي وأُسري

ـ الاصطفاء قائم على أساس الكفاءة والمؤهلات

ـ المحسودون في آية ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾

- **انتقال الإمامة إلىٰ آل محمّد صلى الله عليه وآله**

ـ انتزاع الإمامة من آل إسحاق

ـ انتقال الإمامة إلىٰ البقية من آل إبراهيم من إسماعيل وهم آل محمّد عليهم السلام

- **إمامة أهل البيت عليهم السلام**

ـ الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله

ـ الحكمة الإلهية في اعتماد القرآن أُسلوب الإشارة والوصف للدلالة على أئمة أهل البيت عليهم السلام

ـ آية الولاية ـ آية التطهير ـ آية القربىٰ ـ آية التبليغ ـ آيات الشهادة

ـ لله في كلّ أُمّة شهيد ـ مواصفات الشهداء

ـ شهادة الرسول صلى الله عليه وآله على المسلمين في عصر النبوّة

ـ الشاهد التالي لرسول الله صلى الله عليه وآله

المبحث الثّالث
النصّ على الأئمة في القرآن الكريم

في المبحث الأوّل تحدّثنا عن مفهوم الإمامة في القرآن الكريم، وانتهينا إلى أن مفهوم الإمامة في القرآن عبارة عن قيادة الإنسان نحو الكمال المطلوب في كلّ أفعاله الاختيارية، وفي المبحث الثاني تعرّضنا إلى أن منصب الإمامة منصب إلهي يختار الله له مَن يشاء وليس باختيار الناس أو بتعيين منهم واستشهدنا بآيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد على هذه النظرية، نظرية النصّ والتعيين الإلهي.

وهنا نبحث باختصار موضوع النصّ على الأئمة في القرآن الكريم. لقد مارس القرآن الكريم عملية النصّ على الإمام أو على الأئمةعليهم السلام في صيغ كثيرة متنوعة، رتّبناها ضمن صيغ ثلاث من التعيين.

الصيغة الأُولى: هي الآيات التي دلّت على الأئمّة على مدى التاريخ، إذ أكدت على أن هنالك أئمة نصبوا من قبل الله سبحانه وتعالى

على مدىٰ تاريخ البشرية، وأنّ الله سبحانه وتعالى أمر الناس بطاعتهم.

الصيغة الثانية: من آيات النصّ، هي الآيات التي دلّت على الأئمة من آل إبراهيم، وأكدت على استمرار الإمامة الإلهية في ذريّة إبراهيم ونسله على مدى التاريخ.

الصيغة الثالثة: هي النصوص الدالة على تعيين الأئمة بعد رسول الله في أهل بيته وهم عليّ عليه السلام ورجال مخصوصون من ذرّيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ضمن هذه الصيغ الثلاث من التعيين نتابع البحث عن الإمامة في القرآن الكريم، ولا يفوتنا أن نشير إلىٰ أن النصوص على الإمامة في السنّة الشريفة كثيرة متواترة، وبصيغ وعبارات شتىٰ، ولكن الذي نبحث عنه هنا هو نماذج من النصوص القرآنية حول الإمامة، ولا نقصد بذلك استيعاب النصوص القرآنية، وإنما إلقاء الضوء على نماذج منها واستجلاء الصورة العامّة عن النصّ على الإمامة كما هي في القرآن العظيم.

والواقع أن نصوص السنّة النبويّة حول الإمامة هي بدورها نوع آخر من النصّ القرآني حول الإمامة لأنّ السنّة النبويّة ليست في واقعها إلّا تفسيراً لآيات القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ النصوص القرآنية الصريحة في وجوب اطاعة النبيّ ﴿أَطِيعُواْ

ﭐلرَّسُولَ﴾ والمؤكدة على أنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] تجعل من نصوص السنّة المتواترة حول الإمامة نصوصاً إلٰهية راجعة في روحها وجوهرها إلىٰ نصّ القرآن الكريم.

أما النماذج القرآنية من النصّ على الإمامة بصيغها الثلاث فهي كما يلي:

الصيغة الأُولىٰ: النصّ العام على الأئمة على مدىٰ التاريخ وهي تدلّ على أن الله نصب للبشرية أئمّة في كلّ زمان.

١ ـ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

ففي كلّ أُمّة على مدىٰ التاريخ بعث الله رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. والمقصود بالعبادة في هذه الآية كما هو واضح، وكما هو معناها اللغوي إنّما هو الخضوع التامّ لله سبحانه، وهو يشمل كلّ الأفعال الإرادية للإنسان، وقد ذكرنا أنّ الإمامة في القرآن الكريم تعني قيادة الإنسان في أفعاله الإرادية نحو الكمال الذي هو الخضوع التامّ لله سبحانه وتعالى فالإمامة في واقعها إمامة الناس في عبادة الله سبحانه في كلّ شؤونهم، وهذا هو الذي يقف

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) النحل: ٣٦.

على النقيض من الطّاغوت ويعارضه وينافيه فانّ معنى الطّاغوت: الكثير الطغيان الذي يدعو الناس إلىٰ الخروج عن طاعة الله، ومصاديقه هم إبليس وأئمّة الكفر والضلال وقادة السياسات الظالمة وجميع أصحاب القوة والنفوذ الذين يصدّون عن سبيل الله ويدعون إلىٰ غير حُكمه.

ويمكننا أن نرجع إلىٰ القرآن نفسه لنحدّد من خلال آياته الأُخرىٰ مفهوم الطاغوت من جهة ومفهوم العبادة من جهة أُخرى.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ﴾[١].

وقد سبقت هذه الآية قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢].

فالطاغوت حسب هذه الآية والآيات الأُخرىٰ التي في سياقها هو كلّ حاكم غير الله سبحانه وتعالى، وكلّ من يدعو إلىٰ الحاكمية

(١) النساء: ٦٠.

(٢) النساء: ٥٩.

غير الإلهية ، فمعنى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] .

أننا بعثنا في كلّ أُمّة قادة إلهيين، سياسيّين، يحكمون بما أمر الله ويدعون الناس إلىٰ عبادة الله والخضوع لحكمه ورفض حكومة الطواغيت وعدم الخضوع لهم.

٢ ـ وقال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2] .

وهذه الآية هي الأُخرىٰ صريحة في أنّ الله سبحانه نصب الرُسل علىٰ مدىٰ التاريخ قادة وحكّاماً على الناس وأمرهم بالطاعة والانقياد لهم، فما من رسول إلّا بعثه الله لكي يُطاع أي ليكون قائداً مطاعاً، وهنا إشارة جميلة في هذه الآية وهي عبارة: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إذ أنها تدل على أنّ هذه الطاعة هي طاعة حكومة وليست طاعة تبليغ، فهي طاعة للرسول بما أنه قائد وحاكم وليست طاعة للرسول بمحض كونه مخبراً عن الله ومبلغاً لأمره ونهيه فقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني الإذن من الله بأن تكون له الطاعة، أي نصبه ليكون مطاعاً، وهذا تعبير صريح في أنّ هذه الطاعة طاعة

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) النساء: ٦٤.

حكم وطاعة قيادة وإمارة وليست تبليغاً فقط، وإلّا لكان الأولىٰ أن تقول الآية: ﴿وما أرسلنا من رسول الله إلّا ليُطاع الله﴾(١).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٢).

تقول الآية ما معناه: لقد أرسلنا على مدى تاريخ البشرية رسلنا بالبيّنات والكتاب والميزان، وكانت مهمّتهم جميعاً إقامة حكم الله في الأرض وإقرار العدل بين الناس.

والكتاب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ هو القانون والدستور الإلهي، فإنّ الكتاب في اللغة بمعنى المكتوب، والمكتوب من الكتابة وهي الوجوب والثبوت، فيُراد من الكتاب أوامر الله ونواهيه الثابتة اللازمة.

والمقصود بالميزان، ما تُوزن به الأشياء ليميّز به سليمها عن سقيمها، وصحيحها عن فاسدها، والمراد هنا بالميزان ميزان الأفعال وليس ميزان الأشياء، وميزان الأفعال هو الميزان الذي به يميّز العدل من الأفعال عن ظلمها، والحقّ منها عن باطلها، وليس ذلك إلّا ملكة العدل، وقوّة العصمة التي اتّصفت بها شخصية الأنبياء بهداية من الله ورعاية منه. والحاكم يحتاج إلىٰ هاتين

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) الحديد: ٢٥.

القوّتين، يحتاج إلىٰ معرفة بالقانون وإلىٰ ملكة العدل حتى يصبح سلوكه وتصرفاته وممارساته كلّها موافقة للعدل وليتمكن من اقامة حكم الله وتطبيق شريعته.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

في هذه الآيات تأكيد على أن لله قادة نصبهم على مدىٰ التاريخ، وقد اجتباهم الله واختارهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوّة من نوح عليه السلام إلىٰ رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله. يقول تعالى ما معناه: هؤلاء الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة وبعثناهم قادة للناس

---

(١) الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠.

جـاءوا ليـحكموا النـاس بـالعدل عـلى مـدىٰ التـاريخ مـن دون اختصاص بفترة زمنيّة دون غـيرها. فـالإمامة الإلهـية لا تـختصّ بفتره زمنية محدّدة بل هي مستمرة على طول تاريخ البشرية.

الصيغة الثانية: آيـات النـصّ عـلى الأئـمّة مـن آل إبـراهـيم عليه السلام. والآيات في ذلك كثيرة ومتنوعة:

١ ـ فمنها: ما دلّت على بشارة الله لإبراهيم بجعله وذريّته أئـمة صالحين يهدون بأمر الله، استجابة لدعـائه الذي دعـاه وهـو فـي شبابه وفي أوج صراعه مع المشركين والكافرين من قـومه ومـع أبيه بالذّات، قال تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ * ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[١].

وهذا الدعاء دعا به إبراهيم عليه السلام ربّه عندما كان شابّاً وكان أبـوه

---

(١) الشعراء: ٦٩ ـ ٨٣.

حيّاً وكان في صراع مع قومه وأبيه، وكان إذ ذاك في بابل فقد سأل الله أنْ يهب له حكماً وأن يجعله إماماً يحكم بين الناس بالحقّ ويهديهم إلىٰ عدل الله وصراطه المستقيم وقد قرن دعاءه هذا بدعاء آخر وهو أن يرزقه الله ذريّة صالحة تواصل دربه وتحمل رسالته إلىٰ الأجيال كافة فقال:

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1].

وفي آية أُخرىٰ:

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡماً وَ أَلۡحِقۡنى بالصَّالِحِينَ﴾[2].

وقد أشار الله إلىٰ استجابته لدعائه هذا بقوله تعالى:

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَآتَيۡنَاهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

ويبدو أن الحكم والإمامة هو المقصود بأجره في الدنيا فقد جاء تفسير الأجر الإلهي في الدنيا بالحكم والملك في قوله تعالى عند حكاية قصّة يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4].

---

(١) الشعراء: ٨٤.

(٢) الشعراء: ٨٣.

(٣) العنكبوت: ٢٧.

(٤) يوسف: ٥٦.

وقد كان الإمام الخميني رضوان الله عليه يفسّر قوله تعالى في الدعاء: ﴿رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[١] أنّ حسنة الدنيا تعني الإمامة والسلطة والملك الذي يؤتيه الله لعباده الصالحين فيقيمون به حكمالله على وجه الأرض وينشرون به العدل ويطهّرون به أرض الله من الشرك والظلم.

٢ ـ ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾[٢].

في هذه الآية طلب من إبراهيمعليه السلام إلىٰ ربّه أن يجعل الإمامة في ذريته، وسؤال الأنبياء عن الله وطلبهم منه مأذون به من قبل الله سبحانه وتعالى، أي أنهم لا يطلبون إلّا ما يعلمون برضى الله به وإذنه لهم بطلبه وسؤاله.

فقد أذِنَ لإبراهيم أن يدعو الله بجعل الإمامة في ذريّته، والله سبحانه حكيم في الإجابة، كريم في العطاء، فقد استجاب لدعاء إبراهيم وسؤاله الذي سأله بإذن من الله تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ فجاءه الجواب من الله سبحانه: ﴿لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ وقد استجاب الله لإبراهيم دعاءه وجعلت الإمامة مستمرة في ذرّيته

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) البقرة: ١٢٤.

ضمن شرط لا يمكن للإرادة الإلهية أن تتجاوزه وهو شرط العدالة التامّة، فالإمامة في ذريّة إبراهيم اشترطت بالعدالة التامّة التي تبلغ حدّ العصمة، فجاء الجواب الإلهي نافياً للإمامة عن الظالمين من ذريّة إبراهيم فكان دالّاً بالدلالة الإلتزامية على ثبوت الإمامة في غير الظالمين من ذرّيته وأنّ الدعاء استُجيب له في ذرّيته الصالحين.

ولعلّ من يشكّك ويقول من أين عرفنا أن دعاء إبراهيمعليه السلام استُجيب له وأن الله جعل الإمامة في ذرّيته بالفعل، والجواب على ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم دلّت بوضوح على أن الله قد جعل الإمامة في ذريّة إبراهيم استجابة لدعائه، قال تعالى:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ﴾[1] .

فهذه النافلة وهي هذه الذريّة الطيّبة جعلهم الله أئمة استجابة لدعائه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فقد جاءت الآية تؤكّد هذه الاستجابة بقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ

---

(١) الأنبياء: ٧١ ـ ٧٣.

﴿ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا﴾

٣ـ ومنها قوله تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(١) .

كما دلّت هذه الآية أيضاً على أن الله سبحانه قد استجاب دعاء إبراهيم فآتى آل إبراهيم ملكاً عظيماً وهي «الإمامة» زائداً على ما آتاهم من الكتاب والحكمة وهي «النبوّة».

٤ ـ ومنها قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) .

نجد في هذه الآية الكريمة إشارة إلىٰ نوعين من الاصطفاء الإلهي :

الأوّل: الاصطفاء الفرديّ: وهو اصطفاء آدم ونوح...

الثاني: الاصطفاء الأُسريّ (العائلي): وهو اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران، وآل عمران بعض آل إبراهيم، فهو من عطف الخاص على العام ويدلّ على أنّ هذا الاصطفاء الأُسري أيضاً تمّ ضمن مرحلتين:

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

الأولى: اصطفاء آل إبراهيم.

الثانية: اصطفاء آل عمران من مجموع آل إبراهيم، ومن هنا جاءت الآيات اللاحقة لتوضّح اصطفاء آل عمران قائلة:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَافِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىَ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ إلىٰ قوله تعالى: إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[1] .

فهناك اصطفاء ضمن اصطفاء، اصطفاء آل إبراهيم واصطفاء آل عمران خاصّة من مجموع آل إبراهيم، وإذا ضممنا هذه الآيات إلىٰ الآية الكريمة التي سأل فيها إبراهيم ربّه أن يجعل الإمامة في ذريته: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾[2]، نفهم من مجموع ذلك أنّ الله تعالى قد استجاب لإبراهيم دعاءه فجعل الإمامه في ذرّيته على أساس الكفاءات والمؤهلات التي جاء التعبير عنها هنا بالاصطفاء، فليست الإمامة في ذريّة إبراهيم لمجرد أنهم ذرّيته، بل لتوفر المواصفات والمؤهلات القيادة التي بوّأتهم منزلة الاصطفاء الإلهي، فلا ينال العهد الإلهي الظالمين من ذريّة

---

(۱) آل عمران: ٣٥ ـ ٤٥.

(۲) البقرة: ١٢٤.

إبراهيم، كما لا ينال غير الظالمين منهم إلّا على أساس الاصطفاء، ولذلك فقد نال الإمامة آل عمران من كلّ آل إبراهيم، لتوفر الكفاءة والأهلية الربّانية في هذا البطن خاصّة من آل إبراهيم، كما حصل هذا الاصطفاء الخاصّ لآل محمّد ﷺ ضمن مجموعة آل إبراهيم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

ثمّ أنّ هذا الاصطفاء الأُسري إنّما هو اصطفاء قائم على أساس المؤهلات والكفاءات وليس على مجرد النسب، ولهذا جاءت الآية تؤكد ذلك قائلة: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[٢] فإنّ هذه البعضية ليست بعضيّة نسبيّة؛ بل هي بعضيّة رساليّة، أي أنّ الذريّة التي ينالها الاصطفاء إنّما ينالها ذلك لأنها تمثّل القيم والمُثُل التي كان يمثّلها مؤسس الأُسرة وزعيمها.

وممّا يؤكّد أن البعضيّة في هذه الآية هي بعضيّة رسالية وليست بعضيّة في النسب، قوله تعالى لنوح ﷺ حين خاطب ربّه قائلاً:

﴿... رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٣٤.

ٱلْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...﴾[1].

فإنّ المفهوم من هذه الآية أنّ الأهل في منطق القرآن الكريم هو المنسجم روحيّاً مع زعيم الأُسرة النبويّة وليس كلّ منتسب إلىٰ الأُسرة النبويّة نسبياً يعدّ من أهل النبيّ الذي أرسله الله لهداية الناس، وكذلك الأمر في الذريّة التي ينالها الاصطفاء، فانّ الذريّة المصطفاة هي الذريّة التي تعدّ بعضاً من شخصية النبيّ صاحب الذريّة تلك الشخصية التي تمحّضت في طاعة الله سبحانه وخضعت لإرادته خضوعاً تامّاً عبّر عنه في لغة القرآن الكريم بالإسلام، ومن هنا نجد التأكيد القرآني على أنّ الإسلام كان عهداً يتناقله ذريّة إبراهيم جيلاً بعد جيل، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَآئِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا

---

(١) هود: ٤٥ ـ ٤٦.

وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[(١)].

والذي تدلّ عليه هذه الآيات بوضوح أنّ الإمامة الإلهيّة القائمة على أساس الاصطفاء الإلهي مستمرة في ذريّة إبراهيم على مدىٰ الأجيال فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصطَفَىٰ... وَآلَ إِبرَاهِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، كلّ هذه الآيات وغيرها تدلّ على استمرارية الاصطفاء الإلهي في آل إبراهيم وانّ العصور المختلفة شهدت اصطفاءات خاصّة ضمن آل إبراهيم كان آخرها اصطفاء آل محمّد عليهم السلام، وهذا ما سوف نعود إلىٰ البحث عنه بالمناسبة في ما يأتي من حديث.

٥ ـ ومنها قوله تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[(٢)].

فالآية تدل على أنّ الله سبحانه قد آتى آل إبراهيم زائداً على النبوّة المتمثّلة في الكتاب والحكمة، ملكاً عظيماً، والملك هو السلطة والحكم فالمقصود به الإمامة الإلهيّة كما هو واضح.

---

(١) البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٣.

(٢) النساء: ٥٤.

ثمّ إنّ من الجدير لفت النظر إلىٰ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فمن هم هؤلاء الناس المحسودون الذين ذكرت الآية أن الله قد آتاهم من فضله أي آتاهم فضيلة زائدة على ما آتى الآخرين؟ واضح من سياق الآية أن هؤلاء المحسودين أُناس من المؤمنين الذين كانوا آنذاك مع رسول الله، وأنهم من آل إبراهيم، لأنّ الآية فسّرت الفضل الذي أتاه الله هؤلاء المؤمنين المحسودين بما آتى الله آل إبراهيم من الكتاب والحكمة والملك العظيم.

وواضح من سياق الآية وممّا يعضدها من آيات القرآن الكريم أنّ هؤلاء المحسودين هم آل محمّد عليهم السلام وقد ورد في الأحاديث الكثيرة عن أئمّة أهل البيت التصريح بأنّ المقصود بالمحسودين في هذه الآية هم الأئمة من آل محمّد، فقد روى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام في تفسير الآية: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ ـ يعني الإمامة والخلافة ـ إلىٰ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ نحن الناس المحسودن على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين[1]، ويكفي دلالة على صحّة هذا التفسير أن الآيات تنقل

---

(١) أُصول الكافي، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم المحسودون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ: ١/٣٩٥.

حدثاً حيّاً واقعياً معاصراً وتشير إلىٰ أن هنالك جماعة معاصرين لنزول الآية يحسدون أُناساً آخرين من المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وهؤلاء المحسودون تربطهم بآل إبراهيم صلة، وهي أنّهم من آل إبراهيم ومن هنا ردّ القرآن الكريم على هؤلاء الحاسدين الناقمين على آل محمّد ما آتاهم الله من الفضل والرافضين لهذا الاختيار الإلهي، بأنّ الله قد سبق أن جعل هذا الفضل في آل إبراهيم وقد آمن هؤلاء الحاسدون بالفضل لآل إبراهيم وسلّموا له فما بالهم ينكرون لآل محمّد هذا الفضل وينقمون عليهم بذلك.

ثمّ إنّ القرآن الكريم ـ كما أشرنا ـ يؤكّد على أنّ الإمامة إنّما جعلت في آل إبراهيم واستمرت فيهم للمؤهلات والكفاءات الربّانية القيادية التي توفرت في هذه الذريّة، وأنّ الإمامة مختصّة بذوي الكفاءات الربّانية من آل إبراهيم، ولا تعمّ ذريّة إبراهيم أجمعين.

كما أن الآيات الكريمة في القرآن تشير إلىٰ حقيقة أُخرى وهي انّ الإمامة قد تُسلب عن بعض ذريّة إبراهيم وتنتقل إلىٰ غيرهم من ذريّة إبراهيم، عندما تفقد المجموعة الأُولىٰ صلاحياتها وكفاءاتها على مدى الزمن وهذا ما تشير إليه الآيات

القرآنية في صياغة عامة أحياناً كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[1]، وفي صياغة خاصّة محدّدة أحياناً أُخرى كما جاء في قوله تعالى:

﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّنَ مِن ذُرِّيَّـةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلاةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَاتِ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ...﴾[3]

ففي هاتين الآيتين وآيات أُخرىٰ يؤكّد القرآن العظيم على أن الإمامة والتفضيل الذي أنعم الله به على ذريّة إبراهيم من إسحاق ويعقوب قد انتزعه الله عنهم لما آلوا إليه من الضلال والزيغ والكفر والظلم، فحلّت محل ذلك التفضيل اللعنة الإلهية: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾[4] و﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) مريم: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) النساء: ١٥٥.

(٤) المائدة: ١٣.

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[(١)].

وهكذا انتُزعت الإمامة من ذريّة إسحاق من آل إبراهيم، وانتقلت إلىٰ الطاهرين من بقيّة آل إبراهيم من إسماعيل، وهم آل محمّد عليهم السلام.

ونجد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا...﴾[(٢)].

تلميحاً إلىٰ ما ذكرناه من أن انتقال الإمامة الإلهيّة إلىٰ ذريّة إبراهيم لم تكن إلّا على أساس استمرار الكفاءة والصلاحية الربّانية في هذه الذريّة، فإنّ هذه الآية تؤكد أن أولى الناس بإبراهيم وأقربهم إليه، وألصقهم به في شخصيته الإلهيّة هم الذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، وإذا تأمّلنا في التعبير القرآني ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتابعنا مواطن استعماله في القرآن الكريم وجدنا أنّه التعبير الذي يستخدمه القرآن الكريم كثيراً للتدليل على أُناس خاصّين من المؤمنين، وهم أُولئك الذين بلغ فيهم كمال الإيمان الدرجة التي بوّأهم منزلة الإمامة لسائر المؤمنين، فاختارهم الله

---

(١) البقرة: ٦١.

(٢) آل عمران: ٦٨.

قادة للمؤمنين بعد رسول الله ودلّ عليهم في كتابه الكريم بأوصافهم، فكانوا النماذج الكاملة للمؤمنين والقدوة السامية التي أمر الله بالاقتداء بها بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما نجده في مثل الآية ٥٥ من سورة المائدة إذ يقول تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

وكذلك قوله تعالى في الآية ١٦ من سورة التوبة:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ .

وغير ذلك من الآيات.

الصيغة الثالثة: الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ بالإشارة والوصف، وقد أشرنا سابقاً إلىٰ أنّ الحكمة الإلهيّة في الحفاظ على القرآن الكريم اقتضت اعتماد القرآن الكريم في النصّ على الأئمة بعد رسول الله أُسلوب الإشارة والوصف دون التسمية، لأنّ التسمية كانت تؤدّي لا محالة إلىٰ أن تمتد الأيدي الآثمة الطامعة في السلطة والحكم إلىٰ القرآن الكريم فتحرّف آياته، أو تحول دون انتشارها بين المسلمين كما حصل بالفعل بالنسبة إلىٰ سنّة رسول الله ﷺ فقد كثر فيها التصريح

بالاسم وتعيين الأئمة من أهل البيت بأسمائهم ممّا أثار حفيظة أعدائهم فبدأوا ومنذ عصر رسول الله يمنعون من كتابة الحديث عن رسول الله ﷺ، فقد روى أبو داود والدارمي في سننهما وكذا أحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم في غيرها عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ باصبعه إلىٰ فيه وقال: **«أُكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حقّ»**[1] .

وروى البخاري في صحيحه وكذا مسلم وغيرهما: لما حضر النبيّ ﷺ الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال ﷺ : **«هلّم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»** قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول ما قاله عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ : **«قوموا عنّي ولا ينبغي**

(١) سنن الدارمي: ١/١٢٥ باب من رخص في الكتابة من المقدّمة، سنن أبي داود: ٢/١٢٦ باب كتابة العلم، ومسند أحمد: ٢/١٦٢.

عندي التنازع»[١] .

وروى الذهبي في تذكرة الحفّاظ: «أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمَن سألكم فقولوا بيننا كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه»[٢]. وقد فعل نظير ذلك عمر وعثمان في عهديهما[٣] ، وحينما استولىٰ بنو أُميّة على الحكم لم يقفوا عند هذا الحدّ بل أكثروا من وضع الحديث على لسان رسول الله من جهة وتناوشوا الأئمة من أهل بيت رسول الله وذريّته بالقتل والتشريد والإبادة من جهة أُخرى، حتى استأصلوا ذريّة رسول الله في واقعة الطف بكربلاء، ولم يمض على وفاة الرسول أكثر من نصف قرن، فلهذا السبب الواضح اختارت الحكمة الإلهية في النصّ على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله أُسلوب الدلالة بالإشارة والوصف. وفيما يلي بعض الآيات التي نصّت على إمامة أهل البيت عليهم السلام :

(١) البخاري، كتاب العلم، باب العلم: ١/٢٢، وكتاب المرض، باب قول المريض قوموا عنّي، وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي في ترجمة أبي بكر: ١/٢.

(٣) راجع كتاب معالم المدرستين: ٢/٥٠ فما بعدها.

١ ـ آية الولاية

وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١].

أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال: أما إنّي صلّيت مع رسول اللهﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلىٰ السماء وقال: اللّهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد نبيّك محمّدﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّعليه السلام في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأىٰ من النبيّﷺ وهو في المسجد فرفع رسول اللهﷺ طرفه إلىٰ السماء وقال:

«اللّهمّ إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي

---

(١) المائدة: ٥٥.

أَمْرِي﴾(١) فأنزلت عليه قرآناً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾(٢) اللّهمّ وإنّي محمّد نبيّك وصفيّك، اللّهمّ واشرح صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به ظهري» .

قال أبو ذر: فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل من عند الله عزّوجلّ، وقال:

يا محمّد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٣) .

وقد اتّفق المفسّرون عامّة على نزول هذه الآية في عليّ بن أبي‌طالب، ودلالتها على الإمامة واضحة لا لبس فيها، والحصر الوارد في الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ يلغي كلّ احتمال آخر في معنىٰ الولاية غير معنى السلطة والحكم، فإنّ أي‌معنى آخر من معاني الولاية لا يتصوّر كونه خاصاً بالله ورسوله وعليّ أميرالمؤمنين.

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) القصص: ٣٥.

(٣) رویٰ هذا الحديث عامّة المفسّرين، راجع الطبري، وأسباب النزول للواحدي، والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، وللتفصيل راجع كتاب الغدير: ٢/٥٢ ـ ٥٣.

٢ ـ آية التطهير

وهي نصّ على إمامة الأئمّة من أهل البيت وكان الحاضرون منهم في عصر نزول الآية هم عليّ والحسن والحسين، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) .

تدل الآية على طهارة أهل البيت من الرجس كلّه، والرجس معناه القذر ومعصية الله سبحانه صغيرة كانت أم كبيرة، وكلّ قذارة ينبغي اجتنابها فهي رجسٌ، هذا هو المتيقن من معنى الرجس بحسب اللغة فقد قال ابن منظور: الرجس: القذر وكلّ قذر رجس وكذلك في الاستعمالات القرآنية فقد قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٢) .

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ (٣) .

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) التوبة: ١٢٥.

وقال تعالى:

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[1] .

وخلاصة الأمر أنّ المتيقّن من معنىٰ الرجس أنه كلّ ما ينبغي الاجتناب منه، ولا شكّ أنّ معصية الله صغيرة كانت أم كبيرة هي ممّا ينبغي الاجتناب عنه، فيكون معنى تطهيرهم عن الرجس إنّهم مطهرون من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها.

وقد اتّفقت كلمة المسلمين وتواترت الروايات الصحيحة أنّ الآية نزلت بشأن رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين .

فقد روى مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيت النبيّ، والترمذي في سننه وغيرهما أن سبب نزولها كان بشأن هؤلاء[2]، ولا تشمل نساء النبي فقد ورد في الصحيح المتواتر عن أُمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ ، وفي البيت سبعة: جبرائيل وميكائيل وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت فقلت: يا رسول الله! ألست من أهل البيت؟ قال: «إنّكِ إلىٰ خير، إنّكِ من

---

(١) الأنعام: ١٤٥.

(٢) راجع للتفصيل: كتاب معالم المدرستين: ١/٣٦٢ وما بعدها (باب عصمة أُهل البيت).

أزواج النبيّ»[١] .

أما دلالتها على إمامة أهل البيت، فلما دلّت عليه آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ من اشتراط العصمة في الإمام، والعصمة لا تعرف إلّا من الله، ولم يدلّ دليل من الله على عصمة غير هؤلاء، وقد دلّت هذه الآية على عصمتهم فتدلّ على إمامتهم. هذا كلّه بالإضافة إلىٰ ما ذكرناه سابقاً حول آية ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢]، من أنّ الأمر في ﴿أَطِيعُواْ﴾ بطاعة الرسول وطاعة أُولي الأمر جاءت بصيغة واحدة، فإنّ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر مستقل، و﴿أَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ جاء ضمن أمر آخر، وهذا يعني أنّ نفس وجوب الطاعة الثابت لرسول الله ثابت لأُولي الأمر، وطاعة الرسول واجبة وجوباً مطلقاً لا حدود له بنصّ من القرآن الكريم:

﴿مَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾[٣] .

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] .

---

(١) مسند أحمد: ٦/٣٠٦.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) النور: ٦٣.

و﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] .

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تنصّ على أنّ كلّ ما يقوله الرسول إنّما هو وحي يجب إمتثاله على كلّ مؤمن لأنه:

﴿وَما يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2]

فأطيعوا الرسول يعني أطيعوه في كلّ صغيرة وكبيرة وفي كل أمر وهذا النحو من الطاعة لا يمكن أن يكون إلّا للمعصوم الذي لايضلّ ولا يخطئ فتكون الآية ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ دالّة على وجوب أن يكون أُولو الأمر معصومين مطهّرين من الرجس تطهيراً. ولم يقم دليل على عصمة غير أهل البيت المذكورين، وقد دلّت آية التطهير على عصمتهم وطهارتهم من الرّجس، فلا ريب أن يكونوا هم أُولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم ونهىٰ عن مخالفتهم.

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) النجم: ٣ ـ ٤.

٣ ـ آية القربىٰ

وهي من الآيات التي تدلّ على إمامة أهل البيت بعد رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١]

تفيد هذه الآية أنّ مودّة ذوي قربىٰ الرسول ﷺ واجبة وأنّ الله سبحانه جعلها أجراً لرسالة رسول الله ﷺ، وكونها أجراً لرسالة الرسول يدلّ على أنها تعادل في أهميتها وقدرتها ومنزلتها أصل رسالة الرسول ﷺ فإنّ أجر العمل لابدّ أن يكون معادلاً للعمل في القيمة والاستحقاق، وإلّا لم يكن أجراً عادلاً وحاشا لله سبحانه وتعالى أن يعيّن لأهم الأشياء في الكون وهو رسالة النبيّ الخاتم أجراً غير عادل، وإذا تأمّلنا آيات أُخرىٰ من القرآن استطعنا أن نفهم حقيقة المراد من هذا الأجر، قال سبحانه:

﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٢]

ففي هذه الآية تصريح بأنّ الأجر الذي جعله الله سبحانه على رسالة نبيّه ليس إلّا سبيلاً إلىٰ الله تعالى ونجد في آية أُخرى وصف

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٥٧.

القرآن بأنه سبيل إلىٰ الله إذ يقول تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[1] .

فقد جعل القرآن ذوي قربىٰ الرسول عِدلاً للقرآن الكريم فكلاهما سبيل الى الله سبحانه كما أنّ الرسول سبيل الى الله سبحانه:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾[2] .

وممّا يلفت النظر في هذه الآيات الأخيرة، أنّها دلّت على أنّ الخِلّة والمودّة هي التي تعيّن السبيل الذي يتّخذه الإنسان فإنّ الآيات تحكي حسرة الظالم وندامته على عدم اتّخاذ السبيل مع رسول الله، وعبّرت عن ذلك باتّخاذ غيره خليلاً، فخلّة غير الرسول تعني هنا اتّخاذ هذا الغير قائداً وإماماً، فدلّت على أنّ الخلّة والمودّة تعني التبعية والاقتداء، فلا نهاية لحسرة الظالم يوم القيامة على اقتدائه بغير الرسول واتخاذه خليلاً وسبيلاً. ومهما يكن من أمر فإنّ آيات القرآن لا تترك مجالاً للشك والريب في أنّ المقصود

---

(١) المزمل: ١٩.

(٢) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

بمودّة ذي القربىٰ هي اتخاذهم سبيلاً إلىٰ الله أي الاقتداء بهم والحذو حذوهم واتخاذهم أئمّة مطاعين في ما يأمرون وينهون، شأنهم شأن رسول الله في وجوب الطاعة والاقتداء.

وممّا يعين المتدبّر على فهم مراد القرآن في آية القربىٰ، الآية التي نزلت بشأن النصّ على إمامة عليّ يوم الغدير، قال سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١) .

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بشأن نزولها يوم غدير خم تأمر رسول الله بإبلاغ إمامة عليّ عليه السلام في ملأ المسلمين ـ وسوف نأتي إلىٰ ذكر هذه الآية والحديث عنها بعد قليل ـ فإنّنا نجد في هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى جعل إبلاغ إمامة عليّ عليه السلام مساوياً لإبلاغ رسالة الله كلها، إذ أكّدت الآيه أنّ الرسول إن لم يبلّغ إمامة عليّ فإنّه لم يبلّغ رسالة الله سبحانه وتعالى، كما وجدنا في آية مودّة القربى وآية السبيل أنّ مودّة القربىٰ جعلت أجراً لرسالة الرسول معادلاً لها وجعلت سبيلاً إلىٰ الله سبحانه، فكانت مودّتهم والسبيل إلىٰ الله أمراً واحداً كما أنّ مودّة فلان ـ وهو غيرهم ـ كانت إعراضاً

---

(١) المائدة: ٦٧.

عن سبيل الله والرسول وموجبة لحسرة الظالم يوم القيامة وأسفه الذي لا يكاد يجديه.

ثمّ إنّ المقصود بالقربىٰ حسب الروايات الصحيحة المتواترة بين المسلمين واتفاق كلمة أهل العلم منهم، عليّ وفاطمة والحسن والحسين، قال الأميني في الغدير: أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر وابن أبي‌حاتم والطبراني وابن مردويه والواحدي والثعلبي وأبو نعيم والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: «**عليّ وفاطمة وابناهما**»[1] .

ثم إن ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذا الأجر ليس من قبيل الأجر الذي يأخذه الناس فيما تعارف بينهم على ما يقدّمونه من خدمة لغيرهم، بل هو أجر بمعنى الثمرة والنتيجة، فإنّ أجر الزارع الذي يزرع الأرض، والفلاح الذي يسقي الشجرة ويرعاها، إنّما هو الثمرة التي يؤتيها ذلك الزرع أو التي تؤتيها الشجرة، والنتيجة المرجوّة من كلّ عمل وجهد هو الأجر الحقيقي الذي ينال العامل من جهده، فالأجر الذي ذكرت الآية إنّما هو أجر بهذا المعنىٰ كما

---

(١) راجع للتفصيل كتاب الغدير: ٢/٣٠٦ وما بعدها.

يدلّ عليه معنى السبيل، فحاصل المراد من آية القربىٰ: أنّ أجر الرسالة هو أن يستجيب المؤمنون لدعوة الرّسول ﷺ في اتّباع سبيل الله سبحانه والثبات عليه باتّباعهم لأهل بيته بعده واطاعتهم لهم ولكي تثمر جهود رسول الله بقيام العدل في وجه البسيطة كلّها وانتشار الهدىٰ الإلهي في عامّة الأرض وتحقّق وعد الله سبحانه إذ قال:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٣).

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) التوبة: ٣٣.

هذا كلّه من نتاج جهود رسول الله في الحياة الدنيا وأما في الأُخرى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

ولكون هذا الأجر أجراً يعود إلىٰ المؤمنين أنفسهم لا إلىٰ الرسول بشخصه فقد أكّد القرآن العظيم أنّ هذا ليس أجراً من ذلك النوع الذي ألفه الناس بينهم والذي يعود نفعه إلىٰ العامل الأجير فجاءت الآية لتنفي أن يتّخذ الرسول أجراً على رسالته من هذا النوع من الأجر فقال سبحانه وتعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالىٰ مفسّراً وموضّحاً هذا الأجر الذي أبى رسول الله أن يسألهم إيّاه: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾[3].

---

(١) النساء: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الطور: ٤٠.

٤ ـ آية التبليغ

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[١].

دلّت الآية على نزول الأمر من الله على رسوله بتبليغ إمامة عليّ بعده، ونصّ الآية شاهد على نزولها في أمر الإمامة، لأنّ الآية نزلت في أواخر حياة الرسول في حجّة الوداع، بعد أن كان رسول الله قد أكمل تبليغ دين الله وشرائعه ولم يبقَ من واجبات الشريعة وأحكامها إلّا وقد بيّنه رسول الله، ولم يبقَ إلّا أمر الإمامة التي كان قد بلّغها سابقاً في مناسبات خاصّة لم يشهدها عامّة المسلمين، فنزل الأمر الإلهي بوجوب تبليغ الإمامة على ملأ العامّة من المسلمين، ومن القرينة الواضحة على نزولها بشأن الإمامة التأكيد الإلهي على أنه ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ممّا يدلّ على أنّ أهمية هذا الأمر الذي وجب تبليغه تعادل أهمية الرسالة بكاملها، لأنّ فيه ضماناً لتحقيق أهداف الرسالة، ولولاها لما تحقّقت أهداف الرسالة وغاياتها ومن أهمّها إقرار العدل على وجه البسيطة كلّها.

---

(١) المائدة: ٦٧.

وقد وردت الروايات المتواترة الصحيحة على نزولها يوم الغدير بشأن إمامة عليّ عليه السلام . تفصيلها في كتاب (الغدير للعلّامة الأميني الجزء الأوّل الصفحة ٢١٤ وما بعدها)، ومن ذلك ما رواه السيوطي في الدّر المنثور[١] وغيره في غيره عن ابن مسعود قال: «كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ـ أنّ عليّاً مولىٰ المؤمنين ـ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾» ، روى الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري بإسناده فى كتاب الولاية في طريق حديث الغدير عن زيد بن أرقم قال: «لما نزل النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم من حجّة الوداع وكان وقت الضّحىٰ وحرّ شديد أمر بالدّوحات فقمّت، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال:

«إنّ الله تعالى أنزل إليّ ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كلّ أبيض وأسود: إنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي والإمام بعدي ـ إلىٰ أن قال: معاشر الناس! ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، فماضٍ حكمه وجائز قوله، وملعون مَن

---

(١) الدر المنثور: ٢/٣٩٨.

خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنّ الله مولاكم وعليّ إمامكم ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلىٰ يوم القيامة، لا حلال إلّا ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلّا ما حرّم الله ورسوله وهم ـ إلىٰ أن قال: افهموا محكم القرآن ولا تتّبعوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك لكم إلّا من أنا آخذ بيده، وشائل بعضده، ومعلمكم: أنّ مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليَّ، ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلىٰ السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبيﷺ وقال: معاشر الناس! إنّ هذا أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على مَن آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي... الحديث»[(١)] .

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسير سورة المعارج من تفسيره الكبير: إنّ رسول اللهﷺ لمّا كان يوم غدير خمّ نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد عليّ فقال: «مَن كنت مولاه فعليّ مولاه» فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول اللهﷺ على ناقة له فأناخها ونزل عنها وقال: يا محمّد

---

(١) راجع كتاب الغدير: ١/٢١٤ ـ ٢١٦.

أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله قبلنا منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّله علينا فقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال ﷺ :

«فوالله الذي لا إله إلّا هو إنّ هذا لمن الله عزّ وجلّ» فولّىٰ الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم،فما وصل إلىٰ راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى: **﴿سَأَلَ سَآئِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ﴾**[1]»[2] .

٥ ـ آيات الشهادة

وهي الآيات التي دلّت على أنّ لله تعالى في كلّ عصر قادة شهداء على كتاب الله وعلى المؤمنين جعلهم الله أئمة للناس

---

(١) المعارج: ١ ـ ٣.

(٢) نقل هذا الحديث عن الثعلبي العلّامة الشبلنجي في كتابه (نور الأبصار في أحوال عليّ) ص ٧١، كما ذكره الحلبي في السيرة الحلبية الجزء الثالث نهاية صفحة ٢٧٤ ضمن أخبار حجّة الوداع.

يحكمون بينهم بما أنزل الله، كما ودلّت على أن الرسول شاهد على أُمته وأنّ هناك شهداء على المسلمين بعد رسول الله، وصفهم القرآن بأنّهم من رسول الله وأنّهم يخلفون رسول الله في الشهادة على المؤمنين، وقد دلّ القرآن كما دلّت السنّة القطعية على أنّ هؤلاء الشهداء الذين هم من رسول الله إنّما هم عليّ عليه السلام وأولاده الطاهرون. وسوف نوضّح ذلك بايجاز ضمن النقاط التالية:

أ ـ لله في كلّ أُمّة شهيد

أكّدت آيات كثيرة من القرآن على أنّ لله في كلّ أُمّة شهيداً على الناس منهم، وأنّ هذه سنّة إلهية مستمرة في كلّ زمان.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[2].

بل وأن شهادة الشهداء ليست شهادة على الأُمَم فحسب، بل

---

(١) النحل: ٨٤.

(٢) النحل: ٨٩.

هي أيضاً شهادة على جميع أفراد الناس. فقد قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1].

ب ـ مواصفات الشهداء

جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدّد مواصفات هؤلاء الشهداء:

فمنها: المعاصرة، فإنّ كلّ شهيد معاصر مع من يشهد عليهم، فلكلّ أُمّة من الناس شهيد عليهم معاصر لهم، قال تعالى عن لسان عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[2].

ومنها: أنّهم حجج الله على خلقه بهم يحتجّ على النـاس، أي أنّ الله سبحانه جعلهم الميزان الذي به يُقاس صلاح الناس وفسادهم، وطاعتهم لله وعصيانهم، ومن أجل ذلك فهم شهداء على الكـتاب أيضاً، أي أنّ الكتاب متمثّل فيهم متجسّد في أفكارهم وأعـمالهم، فبهم يعرف الكتاب وتفسّر آياته وتوضّح مفاهيمه.

---

(١) سورة ق: ٢١.

(٢) المائدة: ١١٧.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (١) .

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَادُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (٢) .

ومنها: أنّهم حفظة كتاب الله والعاملون بما أنزل الله فيه، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ (٣) .

وقال تعالى:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾ (٤) .

وقال تعالى:

---

(١) القصص: ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) هود: ١٨.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) الرعد: ٤٣.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ...﴾[١] .

ومنها: أنّهم يحكمون بما أنزل الله كما سبق في الآية الكريمة من سورة المائدة:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[٢] .

ومنها: أنّهم مؤمنون بالله ورسله حقّ الإيمان إيماناً لا يعتريه الشكّ والترديد، قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[٣] .

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[٤] .

ج ـ شهادة الرسول على المسلمين في عصر النبوّة

لقد وصف القرآن الكريم الرسول الأعظم ﷺ بالشهيد

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الحديد: ١٩.

(٤) الحجرات: ١٥.

والشاهد في آيات كثيرة، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[١].

وقال تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٢].

د ـ الشاهد التالي لرسول الله ﷺ

لقد صرّح القرآن الكريم أنّ هناك شاهداً على المسلمين يتلو رسول الله فقال سبحانه وتعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٣]

ومعنى «يتلوه» أي يخلفه، فهذا هو المعنى الظاهر من الكلمة ومعنى خلافته له قيامه مقامه في كلّ شيء ما خلا النبوّة التي ختمت به ﷺ.

ولقد عيّن الله سبحانه هذا الشاهد بالإشارة والوصف فوصفه تارة بأنّه من رسول الله كما في هذه الآية ووصفه تارة أُخرىٰ بأنّ

---

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) هود: ١٧.

عنده علم الكتاب فقال سبحانه:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾[1] .

ولا ينطبق هذان الوصفان إلّا على أهل بيت رسول الله ﷺ ، وفي مقدمتهم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أما الوصف الأوّل، وهو كون الشاهد من رسول الله فانّ آية المباهلة تدلّ بوضوح على أنّ أهل بيت رسول الله وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين هم من رسول الله ﷺ، فقد اتفق المسلمون على أن قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَاجَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[2] .

نزلت بشأن الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام، فقد جاء في الحديث المتواتر، أنّ الرسول أخذ في يوم المباهلة بيد عليّ والحسن والحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: «هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل

(١) الرعد: ٤٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[١] .

وقد ورد في الحديث الصحيح المتواتر أيضاً قوله ﷺ : «**عليّ منّي وأنا من عليّ لا يؤدّي عنّي إلّا عليّ**»[٢] .

كما ورد الخبر المتواتر في قصّة تبليغ آيات البراءة أنّ الرسول ﷺ بعث أبا بكر ببراءة ليبلّغها أهل مكة، وأنّه لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله مدّة فأجله إلىٰ مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها أبو بكر ثلاثاً، ثم قال رسول الله لعليّ: **إلحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلّغها أنت** فـفعل، فلمّا قدم أبوبكر على النبيّ بكى أبو بكر وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: «**ما حدث فيك إلّا خير، ولكنّي أُمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل منّي**»[٣] .

وقد جاء أيضاً في الحديث المتواتر عن رسول الله أنّه وضع

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عليّ، وصحيح الترمذي: ٢٩٣/٤ الحديث رقم ٣٠٨٥ وغيرهما.

(٢) سنن ابن ماجة في كتاب المقدّمة، باب فضائل الصحابة، والترمذي، كتاب المناقب، وفي الكنز، الحديث ٢٥٣١، ص١٥٣ ج١ ط الأُولىٰ، ومسند أحمد ص ١٦٤، ١٦٥ ج ٤.

(٣) مسند أحمد: ٣/١، وسنن الترمذي: ١٦٤/١٣ ـ ١٦٥، ومستدرك الصحيحين: ٥١/٣ ـ ٥٢.

الحسن في حجره وقال: «هذا منّي»[١]، وأنّه قال: «حسين منّي وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[٢] .

وأمّا الوصف الثاني: وهو أنّ الشاهد الذي يتلو رسول الله عنده علم الكتاب فهو أيضاً لا ينطبق على غير عليّ وأولاده الطاهرين فقد ورد في الحديث المتواتر عن رسول الله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمَن أراد المدينة فليأت الباب»[٣] .

قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد، وقد صحّ عن عليّ قوله: «والله إنّي لأخوه ـ أي رسول الله ـ ووليّه وابن عمّه ووارث علمه، فمَن أحقّ به منّي؟»[٤] .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : «الحمدلله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت»[٥] .

كما ورد في الصحيح عن رسول الله قوله: «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي

---

(١) مسند أحمد: ٤/١٣٢.

(٢) صحيح البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبيّ، الحديث ٣٦٤، والترمذي باب مناقب الحسن والحسين: ١٣/١٩٥.

(٣) مستدرك الصحيحين: ٣/١٢٦.

(٤) المصدر السابق وقد صحّحه الحاكم والذهبي، وأيضاً خصائص النسائي: ١٨.

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب والطبري في الرياض النضرة: ٢/١٩٤.

وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فانّهم عترتي، خُلِقوا من طينتي، ورُزِقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أُمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»(١) .

ويكفي دلالة على كون أهل البيت وفي مقدمتهم عليّ والحسن والحسين هم العلماء بكتاب الله الوارثون لعلم رسول الله ﷺ ما تواتر عن النبيّ: **«إنّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»**(٢) .

وجاء في نصّ الطبراني في تكملة الحديث: **«فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فانّهم أعلم منكم»**(٣) .

فالذي نستنتجه من آيات الشهادة ما يلي:

١ ـ إنّ الرسول هو الشاهد الأوّل على المسلمين كما كان الأنبياء من قبله شهداء على أُممهم.

٢ ـ إنّ الشهادة على المسلمين مستمرة بعد رسول الله وإنّ

---

(١) كنز العمّال: ٦/٢١٨ الحديث رقم ٣٨١٩.

(٢) سنن الترمذي: ٥/٣٢٩.

(٣) كنز العمّال: ١/١٦٨.

هناك شهداء يخلفون رسول الله، وهم الذين يحكمون بالكتاب كما قال سبحانه: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ـ إلىٰ قوله تعالى: بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[1] . وهم الذين يتلونه ويخلفونه في الأمر ما عدا النبوة كما قال سبحانه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ .

٣ ـ إنّ الشاهد أو الشهداء بعد رسول الله لديهم علم الكتاب، وهم من رسول الله.

٤ ـ إنّ عليّاً وولده الذين هم عترة رسول الله وأهل بيته هم الذين ينطبق عليهم الوصفان المذكوران، فإنّهم العلماء بكتاب الله، وهم الذين وصفهم رسول الله بأنّهم منه.

هذا بعض ما ورد من آيات الكتاب في إمامة عليّ وأولاده الطاهرين أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، فانّ الآيات التي وردت في إمامة عليّ كثيرة نصّ على نزولها في عليّ المفسّرون، ووردت في تفسيرها الروايات الصحيحة الكثيرة عن رسول الله ﷺ. هذا كلّه مع أن السلطات الأُمويّة والعبّاسيّة ظلّت تعاقب مَن يروي عن رسول الله حديثاً بشأن أهل البيت طوال ما يقرب من أربعة قرون، وقد ألّفت موسوعات الحديث عن رسول الله لدىٰ

---

(١) المائدة: ٤٤.

أهل السنّة تحت ظلّ الحكومات الجائرة التي كانت تمنع الحديث عن رسول الله بشأن أهل البيت منعاً باتاً وكانت تعاقب عليه أشد العقاب ممّا حال دون انتشار الكثير ممّا ورد عن رسول الله في أهل البيت، هذا ولم تكتفِ الحكومات الأُموية والعبّاسيّة بمنع الحديث عن رسول الله بشأن أهل البيت وإمامتهم بل وقيّضت بعض ضعفاء الإيمان المتظاهرين بالصّلاح بجعل الأحاديث في فضائل أعداء أهل البيت ونسبتها إلى رسول الله ﷺ مع أنّها تناقض النصّ القرآني والروايات المتواترة الصريحة عن رسول الله ﷺ .

هذا ولم نكن نقصد هنا البحث عمّا ورد من النصّ على إمامة عليّ وأولاده الطاهرين في سنّة رسول الله ﷺ وهو بحث مهمّ في نفسه وقد ألّف علماؤنا الأبرار كتباً مفصّلة جمعت من حديث رسول الله بهذا الشأن الشيء الكثير، ومن أراد الإطلاع على ذلك، فليطلبه من مظّانه.

نسأل الله تعالى أن يثبّتنا بالقول الصالح في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يتقبّل منّا هذا القليل بأحسن قبول إنّه كريم سميع مجيب.

مصادر الكتاب

١ ـ أسباب نزول القرآن: أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي المتوفى (٤٦٨ هـ).

٢ ـ أُصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٩هـ).

٣ ـ بحث حول الولاية: الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر المتوفى (١٤٠٠ هـ).

٤ ـ تذكرة الحفّاظ: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ).

٥ ـ تفسير الطبري: أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠هـ).

٦ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): محمّد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني المعروف بالفخر الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ).

٧ ـ تفسير الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النسيابوري المتوفى (٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ).

٨ ـ تلخيص المستدرك: أبوعبدالله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ).

٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ).

١٠ ـ خصائص الإمام أميرالمؤمنين: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ).

١١ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

١٢ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة: أحمد بن عبدالله بن محمد محب الدين الطبري المتوفى (٦٩٤ هـ).

١٣ ـ سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي المتوفى (٢٧٥ هـ).

١٤ ـ سنن ابن ماجة: محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى (٢٧٥هـ).

١٥ ـ سنن الدارمي: محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى (٢٩٧ هـ).

١٦ ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون): عليّ بن برهان الدين الحلبي المتوفى (١٠٤٤ هـ).

١٧ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل:** عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحنفي النيسابوري المعروف بالحاكم الحسكاني المتوفى (٤٧٠ هـ).

١٨ ـ **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ).

١٩ ـ **صحيح الترمذي (الجامع الصحيح) (سنن الترمذي):** الترمذي المتوفى (٢٧٥ هـ).

٢٠ ـ **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجّاج القشيري المتوفى (٢٦١ هـ).

٢١ ـ **المستدرك على الصحيحين:** محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ).

٢٢ ـ **كنز العمّال:** عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى (٩٧٥هـ).

٢٣ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب:** عبدالحسين الأميني التبريزي المتوفى (١٣٩٠ هـ).

٢٤ ـ **لباب النقول في أسباب النزول:** جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

٢٥ ـ **المسند:** أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ).

٢٦ ـ **معالم المدرستين:** السيّد مرتضى العسكري (معاصر).

٢٧ ـ **مناقب عليّ بن أبي طالب (مناقب ابن المغازلي):** عليّ بن محمّد بن

محمّد الواسطي الشافعي المعروف بابن المغازلي المتوفى (٤٨٣هـ).

٢٨ ـ المناقب: أحمد بن محمّد بن حنبل المتوفى الشيباني (٢٤١ هـ).

٢٩ ـ منهاج السنّة: أحمد بن عبدالحليم الحرّاني ابن تيمية المتوفى (٧٢٨ هـ) .

٣٠ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المتوفى (١٢٩٨ هـ).

فهرس